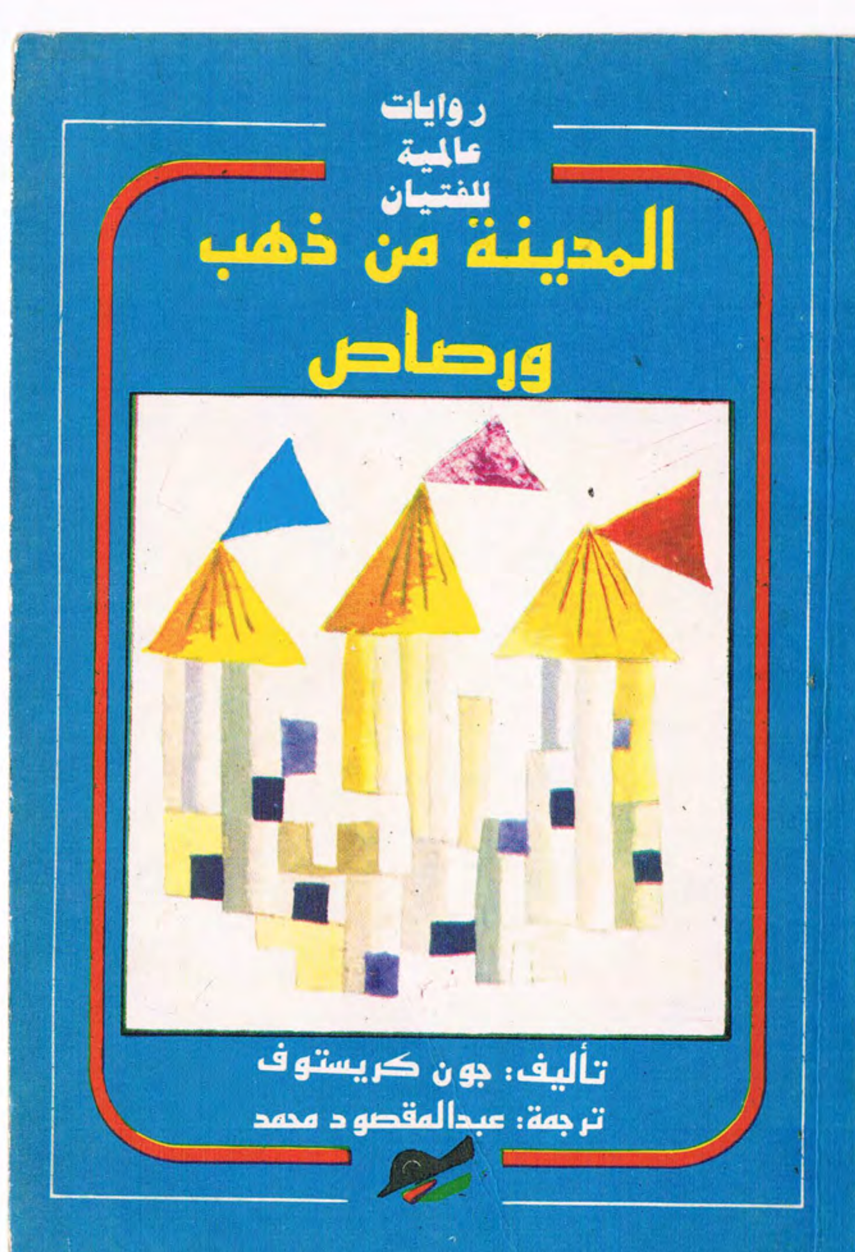
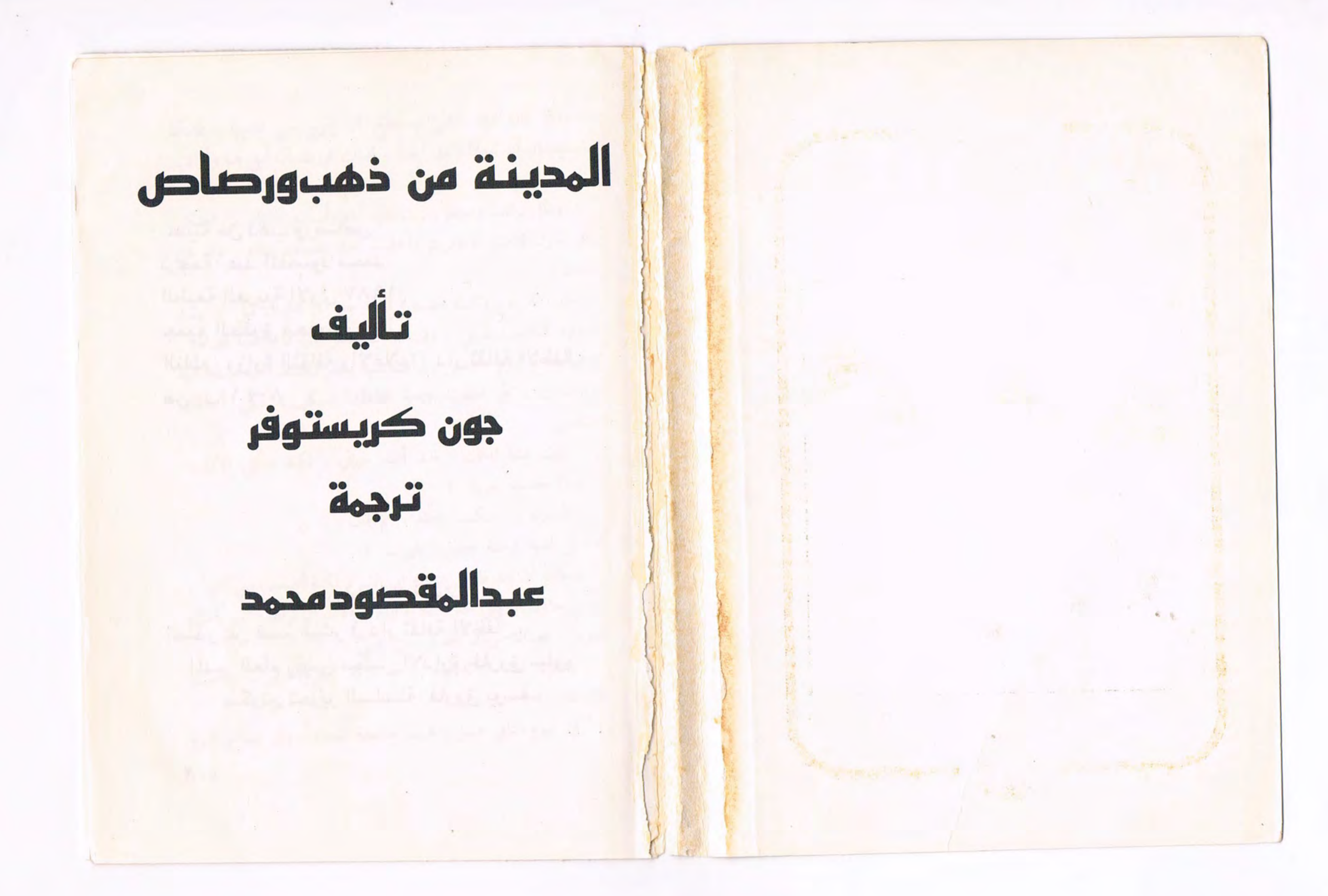


روايات عالمية للفتيان
المدينة من ذهب ورصاص
جون كريستوف

٦٥٠ فلساً

دار الحرية للطباعة



المدينة من ذهب ورصاص

تأليف

جون كريستوفر

ترجمة

عبدالمقصود محمد

المدينة من ذهب ورصاص
ترجمة: عبد المقصود محمد
الطبعة العربية الاولى ١٩٨٧

الناشر: وزارة الثقافة والاعلام / دار ثقافة الاطفال
ص. ب ٨٠٤١

روايات عالمية للفتيان
تصدر عن قسم النشر في دار ثقافة الاطفال

المدينة من ذهب ورصاص

مقدمة

تتناول هذه القصة ، الحياة في عام ٢١٠٠ حيث يكون العالم قد سيطرت عليه مركبات عجيبة ثلاثية القوائم ، جاء أصحابها من كوكب بعيد . وهم أيضاً لهم ثلاث أرجل وثلاث أذرع وثلاث عيون ، ضخام الحجم، وأذرعهم تجعلهم يشبهون الأخطبوط .

وكانت لديهم مقدرة فائقة على التحكم في عقول الأخرين بمجرد أن ينظروا في عيونهم ، فاستغلوا الإرسال التلفزيوني على كوكبنا وأرسلوا من خلاله صوراً تظهر على أجهزة الأستقبال في البيوت ، وتؤدي الى السيطرة على عقل من ينظر إليها .

المدينة من ذهب ورصاص

وهكذا أستطاعوا أن يسيطروا على عقول عدد كبير من الناس ، لكنهم كانوا يخافون من أولئك الرجال الأحرار ، الذين لم يتمكنوا من السيطرة على عقولهم بعد ، إذ أنهم بأفكارهم الحرة وما يملكون من أسلحة ، يستطيعون إلحاق الأذى بهم وبمركباتهم ، ولذلك أكتفوا بأن بنوا مدينة خاصة بهم ، يديرون من خلالها أعمالهم على الأرض ، ويخططون للسيطرة على الأرض كلها وتغير ظروفها المناخية وهوائها لكي تناسبهم أكثر ، حتى لو أدى ذلك الى إبادة كل أشكال الحياة على سطح الأرض .

وكانوا يضعون أغطية للرأس أو تيجانا على رأس كل من يسيطرون على عقله ، وفي كل عام يلتقطون مجموعة من الصبية النابغين الأقوياء في الألعاب والمسابقات ويأخذونهم الى مدينتهم ، ليكونوا خدماً لهم .

وقرر أحد الرجال الأحرار أن يكشف أسرار مدينته ، تمهيداً لوضع خطة لتدميرها ، فدرب مجموعة من الصبية على الألعاب وعلى أتقان أعمال ومهارات مختلفة ، ووضع لهم تيجانا مزيفة ، حتى إذا فازوا في الألعاب وأخذتهم المركبات الثلاثية الى المدينة العجيبة ، يستكشفون أسرارها ويهربون ليقدموا تقريرهم الذي سيساعد على محاربة هؤلاء الأشرار .



١ ـ نحن مدربون على الالعاب

عندما وصلنا إلى الجبال البيضاء ، كنا في الصيف ، ومع ذلك فالجليد والثلج كانا يتراكمان حول قاع مدخل السرداب الرئيس ، بارتفاع يغطي كل شيئ . في شهر سبتمر (أيلول) كان هناك سقوط للجليد ، لكنه لم يستمر ، ثم عاود السقوط في الأيام الأولى من شهر أكتوبر (تشرين أول) مرة أخرى ، وفي هذه المرة كان يسقط بغزارة أكثر ، واستمر طيلة الستة أشهر التالية ، فقد سدّ الشتاء الطريق الى الوديان المنخفضة .

وقد أستعد قادتنا جيداً ، قبل أن يحدث ذلك . فخزنوا الكثير من الطعام ، وأخذوا معهم داخل الجبل الماشية والتبن ، وكان الصخر نفسه يحمينا من الطقس البارد في الخارج ، لذلك لم نكن محتاجين الى حرارة كبيرة وكنا نرتدي الفرو عندما نخرج من السرداب ، وفيما عدا ذلك كانت ملابسنا العادية كافية

كان هناك الكثير من العمل ، لنقوم به ، فقد كنت وثمانية أولاد آخرين ، نستيقظ في السادسة تماماً كل صباح ، ولمدة نصف ساعة ، تجرى تمرينات رياضية ، من شأنها أن تحفظ أجسامنا بحالة جيدة ، وبعد الأفطار نتلقى دروساً لمدة ثلاث ساعات ، ثم نقوم بعمل المزيد من التمرينات الرياضية ، قبل الوجبة الرئيسية عند الظهر .

وخلال فترة ما بعد الظهر كنا نمارس ألعابا متنوعة ، وإذا كان الجو طيباً كنا نقوم بها على الجليد في الخارج ، أما أذا لم يكن الجو مناسباً ، كنا نمارسها في الكهف الكبير ، ثم نتلقى دروساً إضافية قبل العشاء بعد ذلك ، كنا نجلس مع الرجال ونستمع الى محادثتهم ، وهي مثل دروسنا تتركز حول شيئ واحد فقط ، الغزو من مركبات ثلاثية القوائم . لاأحد يعرف الكثير عنها ، هل هي ماكنات بها عقول ذاتية . ؟ لم يكن امامنا إلاّ طريق واحد ، فيجب أن تحاول مجموعة منا الوصول الى مدينة ذوي القوائم الثلاثة . إننا لابد أن نكتشف أسرارها ، ثم نهرب ونقدم تقريراً لقادتنا . ونحن الأولاد كنا مدربين على هذا العمل ، كانت مدينة عدونا تقع جهة الشمال من ألمانيا بالنسة لنا ، وكل سنة كانت مركبات ثلاثية القوائم . تأخذ الأولاد والبنات هناك ، ليكونوا خدماً وكانوا يختارونهم من أماكن مختلفة وبوسائل متنوعة ، ولقد عرفت الآن كيف أختيرت صديقتي (إلويز) أثناء دورة الألعاب . ففي كل صيف يقيم الألمان ألعاباً خاصة ، يأتي إليها الشباب من كل أنحاء القطر ، وبعد الألعاب ، دائماً يقام عشاء عام على شرف الفائزين . وبعد ذلك يذهبون مثل (

إلويز) ليخدموا ذوي القوائم الثلاثة .

خطط قادتنا أنه يجب على مجموعة منا أن تحاول الفوز في الألعاب المقبلة . وحينئذ فالأعداء أنفسهم سيأخذوننا الى مدينتهم ، وبالطبع لايستطيع أحد أن يخبرنا كيف سنرجع ثانية ، ففي كل عام كان هناك عدد من الشباب يذهبون ، لكن لم يرجع منهم أحد .

أخيراً أتى الربيع وخلت الممرات الى الوادي من الجليد مرة أخرى ، وظهرت الورود الزاهية بين العشب الأخضر الطري ، خارج مدخل السرداب . ذات صباح ، بعد تمريناتنا ، كنا جالسين هناك أنا وهنري وجومبر. نحن الآن أصدقاء أوفياء ، وكل نزعاتنا كانت منسية ، قال جومبر بحزن : — أنني فشلت اليوم في القفزة العالية الى ٧٠ / ١ متراً .

وكان يتحدث بالألمانية التي تعلمناها خلال الشتاء ، ولقد تعلمنا أيضاً أن نقيس الأشياء بالمتر ، والمتر أطول قليلاً من الياردة الأنجليزية . وحينئذ قلت له :

— في الرياضة ، كل واحد عنده أيام جيدة وأيام سيئة ، أنك غداً ستقفز أحسن .

فرد قائلاً :

—أنني ساكون أردأ في كل يوم ، أنك تعطيني ثقة ليست فيَّ ، أنني خائف ، أذا لن أكون قافزاً جيداً أبداً .

كان هنري وولد أسباني يدعى رود ريكو ، هما أفضل عداءين فينا . للمسافات الطويلة ، وكان جومبر يتدرب على القفز العالية

والقفزة الطويلة . وربما أنه لم يكن جيداً بشكل أستثنائي . لكن لم
يكن هناك صبي آخر أحسن منه في القفز .

أما أنا فكنت متدرباً كملاكم ، وقد تدربت مع ولد إيطالي
أسمر يدعى طوئيو . كان أطول مني وأيضاً ذراعاه كانا طويلين ،
لكنني كنت أسرع منه بقدميَّ وأستطيع عادة أن أضربه . قلت :

—أنني سألت قائدنا الرياضي كم عدد الأولاد الذين سيتم
أختيارهم , أنه لم يكن متأكداً ، لكنه أعتقد أنهم سيختارون أربعة
: عداء مسافات طويلة . وعداء مسافات قصيرة . وقافز وملاكم
.

قال هنري : لذلك فنحن الثلاثة يمكننا الذهاب .. ومن أيضاً .
؟ فقلت متعجباً : نعم . من سيكون الرابع . ؟ قال جومبر : من
الممكن أن يكون فريتز .

كان فريتز وإيتين من أفضل عدائينا للمسافات القصيرة .وفريتز
ألماني من غابات أقصى الشمال الشرقي . كان طويلاً قوياً ويتحدث
قليلاً جداً . ويأتي بعده في الترتيب ، العداء الفرنسي إيتين . وكان
أكثر مرحاً ويتحدث باستمرار ، وأعتقد أنه سيكون رفيقاً أفضل من
فريتز . لقد كنا ثلاثة ، من الممكن أن يقع عليهم الأختيار ، ولم
يكن بإمكاننا إلا أن ننتظر ونتمنى . كان كل قادتنا يتناقشون المشكلة
، حينئذ رجل واحد سيقرر واسمه جوليوس .



٢ ـ جوليوس

كل رجل في الجبال البيضاء كان له عمل ما . عليه ان يقوم
به . فبعضهم يعلمنا وبعضهم يشكل المجموعات الصغيرة ، التي
تسرق المؤن من اسفل الوديان .

والبعض الاخر يدرسون كتباً قديمة ، ويحاولون تعلم الأسرار
الغامضة للقدماء .

وفي الامسيات ، كان جومبر غالباً ما يستمع الى الرجال وهم
يناقشون هذه الأسرار الغامضة ، وأحيانا كان يقترح عليهم بعض
أفكاره الخاصة فقد كان يرغب دائماً في أن يبتكر أشياء ، انني اتذكر
رسومه لغلاية بخارية ضخمة ، يمكنها أن تجر عربات على طول سكة
حديدية . وقد ضحكنا أنا وهنري من هذه الرسوم ، لكن الرجال
هنا قد اكتشفوا ماكينة تشبه ذلك ، ومن المحتمل أنهم ما زالوا

مستمرين في محاولة تشغيلها ، وأتذكر أيضاً الافته الموضوعة على الخرابات خارج مغارة جاك : «خطراً .. قوة كهربائية» وكنت اتعجب بأستمرار : ماذا تعني كهربائية . ؟ الآن أخبرني جومبر :

– الكهرباء قوة غامضة ، يمكنها ان تعطي الضوء والحرارة ، ويخطط الرجال هنا لانتاجها .

لكن عمل كل واحد هنا كان مراقبا من رجل واحد ، هذا الرجل هو جوليوس .

كان في حوالي الستين من عمره ، بشعر ابيض كثيف ، كان صغير الحجم .

وواحدة من رجليه كانت ملتوية ، لقد أصيب بكسر فيها منذ عدة أعوام .

ومن المحتمل أنها لم تلتئم ، لذلك فهو يمشي الآن بصعوبة .

كان جوليوس مولوداً في الجبال ، وعندما كان صبياً ، كان الرجال الآحرار لهم فكرة واحدة : انهم يرغبون في أن يبقوا أحراراً .

لكنه عندما كبر ، استطاع أن يغير أفكارهم ، إذا قال لهم :

– نحن يجب أن نهزم ذوي القوائم الثلاثة ، وحينئذ سيكون كل الرجال أحراراً مرة أخرى ، ونستطيع أن نفعل ذلك إذا حاولنا بما يكفي من الجدية ، لكننا قليلون جداً ، لذلك فلابد أن نحصل على مساعدة من العالم خارج هذا الجبل ، ويجب أن نعثر على أولاد شجعان ممن لم يكتمل نموهم بعد ، ونحضرهم الى هنا ، وبمساعدتهم لا بد أن نعرف أسرار ذوي القوائم الثلاثة .

وبالتدريج أقتنع كل الرجال الأحرار بقبول أفكاره الجريئة ، وهكذا أصبح قائدهم .

وذات يوم خرج ليراقب تمريناتنا ،وكنت أتلاكم مع طونيو ، لكنني لمحته في الحال لأنه دائماً يمشي بعصا . ولذلك كنت أتلاكم باهتمام قدر استطاعتي .

وبسرعة صوب طونيو قبضة قوية ، فحنيت رأسي جانباً ، لذلك أخطاني تماماً . حينئذ ضربته بقوة في الفك ، فسقط على الأرضية .

نادى جوليوس عليَّ وجريت اليه ، فقال :

– أصبحت ملاكمتك أفضل ياويل .

– أشكرك سيدي .

– من المحتمل انك مشتاق لمعرفة من سوف يذهب الى الألعاب .؟

– نعم .

– اننا سنراعي عدة أشياء ، بجانب ملاكمتك ، فنحن الرجال الكبار نستطيع أن نختبر قدراتك العقلية والجسمانية ، لكننا لا نستطيع أن نقرأ ما في قلبك .

ثم نظر اليّ باهتمام وقال :

– عندما يلتقطك ذوو القوائم الثلاثة ، هل ستكون خائفاً . ؟

– نعم سيدي .

– ولست خائفاً من الذهاب الى مدينتهم . ؟

وكانت عيناه الزرقاوان ، تتأملان في أعماق مباشرة . ثم قال :

– انك لست مضطراً للذهاب ، يمكنك أن تكون مفيداً هنا ، إذا فضلت إن تبق ، فلا أحد أخر سيعرف ، انه سيكون سراً بيني وبينك .

– انني أريد أن أذهب ، برغم خوفي من ذوي القوائم الثلاثة ، وانني اكرههم أيضاً ، فأذا ضاعت مني هذه الفرصة ، لن أسامح نفسي .

– رائع .

قالها وهو يبتسم ثم أكمل :

– بالتأكيد انك ستقتل واحداً من ذوي القوائم الثلاثة ، ومن المحتمل ألا يفعل ذلك شخص أخر في العالم ، وبما أنك تعلم أنهم من الممكن أن يُهزموا ، فربما يتم اختيارك ، لكنني لم أبلغك حتى الآن .

بعد ذلك شاهدته يتحدث الى هنري ، وربما دارت بينهما محادثة من النوع نفسه لكنني لم أسال هنري وهو لم يقل شيئاً عنها ، حينما التقت به على العشاء .

أثناء الشتاء ، نادراً ماكنا نأكل لحماً طازجاً ، لكن ذات يوم ، في منتصف أبريل (نيسان) ، سيقت بعض الماشية صاعدة من الوادي ، وقرر جوليوس أن تذبح بعضها وتشوي ، لذلك كانت عندنا وليمة في تلك الليلة .

وبعد الوليمة تحدث إلينا ، كنت جالساً مع الصبية الآخرين في مؤخرة الكهف ، لكن كل شخص كان يستمع في صمت ، لذلك



فأن صوته الهادئ وصل إلينا بوضوح . في البداية تكلم عن الألعاب فقال :

– أولادنا يملكون فرصة طيبة . لأن هواء الجبل يبني أجساماً قوية . لكن مئات من الأخرين . سيكونون هناك أيضاً . ونحن نغلب أحسن الرياضيين الشباب من كل أنحاء ألمانيا . فاذا فشلنا يجب ألا نيأس . بل نستطيع أن نحاول ثانية في العام القادم .

ثم رفع جوليوس عينيه . نحونا مباشرة وقال :

– انكم يجب أن تتصرفوا كالصبية المتوجين . وهذا ليس سهلاً . لكن بامكانكم أن تتشبهوا بهم . ان ذوي القوائم الثلاثة قد يحاولون اعطاءكم أوامر منفصلة . من خلال تيجانكم الزائفة . وحينئذ سينكشف سركم . لأن تيجانكم لن تعمل . وكل واحد مضطر أن يقبل هذا الخطر . بعد ذلك أبلغنا بعض التفاصيل عن الرحلة :

– ان مدينة ذوي القوائم الثلاثة بعيدة جداً في الشمال . لكن هناك نهر كبير سيأخذكم إلى المكان الذي تقام فيه الألعاب . إذ تبحر في هذا النهر قوارب كبيرة تسمى «صنادل» وكل واحد من هذه الصنادل يخص واحداً من الرجال الاحرار .

وآلان توقف جوليوس ودار بعينيه فينا . فقد حلت اللحظة المثيرة . واستطرد قائلاً :

– لقد قررنا ارسال ثلاثة أولاد إلى الألعاب . ولم يكن اختيارهم فقد راعينا عدة اشياء ثم رفع صوته قليلاً :

قف يا ويل باركر .؟

ارتجفت ساقي وأنا انهض على قدمّي . بينما استطرد هو :

– انك ملاكم جيد ياويل . لكن تساورنا بعض الشكوك عنك . فانت لا تفكر دائماً قبل ان تتصرف وهذا من الممكن ان يكون خطيراً . فاذا أرسلناك . يجب ان تتحكم في نفسك بأهتمام أكثر . هل تعدنا بذلك .؟

– نعم سيدي .

– إذن إجلس ياويل . قف ياجان بيير ديليه .؟

كان اسم جومبر مفاجأة سارة . فقد كان مشكوكا فيه هو نفسه أيضاً مثلي . وهنري فقط هو الذي كان متأكداً من فرصه الذاتية . وبذلك فنحن الثلاثة الآن سنسافر معاً مرة أخرى . قال جوليوس :

– عندنا شكوك حولك أنت أيضاً يا جان بيير . انك احسن من زملائك القافزين . لكنك قد لا تكون جيداً بما يكفي للفوز . ويعتبر بصرك مشكلة . فالمتوجون لا يضعون العوينات . لذلك فلن تستطيع ان تفعل هذا . فاذا أصبحت داخل المدينة . لن تكون قادراً على رؤية بعض الأشياء بوضوح . لكنك ستفهم الأشياء التي تراها . لذلك يمكنك إن تضع تقريراً نافعاً جداً . فهل أنت مستعد للذهاب .؟

قال جومبر : نعم سيدي .

– الأسم الثالث كان اختياره سهلاً .

رأيت هنري يبتسم في نفسه . لكن نظرته تغيرت بسرعة عندما أكمل جوليوس قائلاً :



٣ ـ الصندل

بعد الوليمة حلقنا شعرنا ، وضُيقت تيجان مزيفة ، لتناسب رؤوسنا . وكانت في البداية غير مريحة . لكننا تعودنا عليها ببطء . وكنا مضطرين أن ننتظر عدة أسابيع . ريثما ينمو الشعر فيها . وابان ذلك كنا نتدرب بشكل خاص على مغامرتنا الخطيرة . كان الوقت يبدو طويلاً . لكننا أخيراً أصبحنا جاهزين للذهاب .

وقد بدأنا ذات ليلة . حينما كان الظلام يخيم على الوديان . في البداية مررنا بين بحيرتين ، ثم استدرنا ناحية الشمال الغربي . بين التلال . ولم نسترح الى أن ارتفعت الشمس وكان جبلنا الأبيض العظيم خلفنا . يتراءى لنا من بعيد ، وقد كنا متعبين ، لذلك أكلنا ونمنا خلال النهار الحار الطويل ، كانت المسافة الى المكان الذي نقصده ، حوالي مائة ميل ، مما اضطرنا الى ركوب الصندل . وقد

أرشدنا رجل يدعى بريمو ، كان يعرف البلاد جيداً وكان يتسلق مثل الماعز ، وكان يتحدث قليلاً جداً مثل فريتز ، كنت مسروراً بأصطحاب جومبر معي ، وقد سمح لنا جوليوس بقطع هذا الجزء من الرحلة في أسبوع ، لكننا اجتزنا المسافة في أربعة أيام .

ومن القمة الى سفح التلال ، كنا نشاهد أطلال بلدة قديمة . ويتخلل هذه الأطلال نهر عظيم ، كان يتدفق آتيا من الشرق ، ومتجهاً نحو الشمال ، تتبعنا التلال حول حافة البلدة ، الى أن شاهدنا في الأسفل ، بلدة جديدة صغيرة تقع بمحاذاة الضفة الغربية للنهر . ودستة من الصنادل مربوطة هناك ، أشار بريمو الى أسفل وقال :

– واحد من هذه الصنادل يسمى «ايرل كوننج» ، هل تعرفون طريقكم بدوني .؟ قلنا له : نعم ، نستطيع .

– أذن سأترككم هنا وأتمنى لكم حظاً سعيداً في الألعاب .

لم يكن ايرل كوننج صندلاً كبيراً ، كان طوله حوالى ٥٠ قدماً وفيه رجلان ، كلاهما يرتدي تاجاً زائفاً ، أحدهما يدعى اولف ، وهو قصير وقوي ، وصدره يشبه البرميل ، تحدث الينا بخشونة ، فلم أحبه ، أما صاحبه فيدعى مورتيز ، كان أصغر منه بعشر سنوات ، والطف منه بعشر مرات ، كان له شعر أشقر ، وابتسامته حاضرة ودافئة ، لكن أولف كان هو المسؤل عنا ، وهو الذي يعطنا الأوامر . فقال :

هذه الصنادل الصغيرة تحتاج لرجلين فقط ، ونستطيع أن نأخذ

صبياً إضافيا ، لأن الصبية مدربون على مثل هذا ، لكن اذا أخذنا أكثر ، سيلاحظنا الناس ، لذلك فواحد منكم سيعمل معي أنا ومورتيز .

وعندما أقول : اعمل فأنني أعنيها ، والاثنان الآخران يجب أن يرقدا تحت .

كانت الكابينة الصغيرة تتسع للرجلين فقط ، وبعدها كان هناك فراغ تحفظ فيه الحمير ، وخلف ذلك مخزن للقش ، قال أولف :

– انكم ستضطرون للنوم فوق القش .

لابد أن أوضح شيئاً عن الحمير ، فعلى كل جانب من الصندل ، كانت هناك عجلة خشبية كبيرة ، والعجلتان تشبهان عجلة طاحونة أبي في بلدتنا ، وبينما الصندل يبحر في النهر ، كانت الحمير تدير العجلتين ، وهو عمل شاق ، وقد تألمت لها ، لكن موريتز كان يعتني بها في لطف ، واستطرد اولف يقول : لقد وصلتم الى هنا مبكراً ، فلن نشحن الآن ، اليوم هو الأثنين ، وليس لنا أن نواصل حتى يوم الثلاثاء ، والآن استمعوا اليّ انني اعرف سبب رحلتكم وأرجو أن تكونوا أقوياء بما فيه الكفاية للقيام بالعمل المناط بكم ، لكن على هذا الصندل ، يجب أن تطيعوا أوامري ، ومن لا يفعل ذلك لن أرحمه ، فسوف أربط قطعة من الحديد في رجلية والقي به في وسط النهر ، هل سيؤخذ كلامي على أنه دعابة .؟ أنني أرجو ذلك .

لكنه كان ينظر بشراسة لدرجة أنني لم أكن مطمئناً . ثم واصل

كلامه قائلاً :

– اننا لن نغادر قبل يومين وخلال هذه الفترة لابد أن يبقى اثنان منكما تحت نظرت الى جومبر . لم يكن أحدنا يرغب في قضاء يومين في الظلام مع فريتز الصامت . قال جومبر :

– أنا و ويل سنبقى تحت .

في اليوم التالي . ساعد فريتز كل من أولف و موريتز في شحن الصندل . وقد كان عملاً بطيئاً . فلم ينتهوا منه الى ان أظلمت الدنيا .

وفي الصباح الباكر بدأنا ابحارنا في النهر . وأخذت مكاناً بجانب فريتز . هبت على وجهي رياح شمالية . تحمل مطراً بارداً . لكنني استمتعت بالهواء المنعش . بعد يومين قضيتها تحت . ناداني أولف قال :

– احضر دلوا من الماء وفرشاة وبعض الصابون . فالصندل لم ينظف منذ عدة أسابيع . ويمكنك ان تفعل ذلك الآن .

أستغرق تنظيف الصندل معظم النهار . وفي المساء توقفنا على شاطئ الجزيرة . وكان هناك صندل آخر بالقرب منا . وأوضح لنا موريتز أنهم لا يمكنهم السفر في الظلام . ولذلك فهنالك أماكن معينة . يقضون فيها الليل بأستمرار . وعند ظهر اليوم التالي توقفنا أمام بلدة صغيرة . فأولف كانت لديه بعض الأشغال هناك . تستغرق ساعة واحدة . لكن حيث أنه أخذ الكثير من الوقت . فقد قرر أن يبقى هنالك حتى الصباح التالي .

انقضت فترة ما بعد الظهر . لكن أولف لم يرجع ، فبدأ مويتز يتطلع بقلق . وفي الحال أخبرنا عن السبب ، فقال :

– «أحياناً يزيد أولف من شرب الخمر ، ولم أكن أتوقع أنه سيفعل ذلك الآن . لأن رحلتكم مهمة جداً . لكنه أحياناً عندما يشرب كثيراً . لا يرجع لعدة أيام» .

بدأنا نقلق نحن أيضاً ، غابت الشمس وليس هنالك أي أثر لأولف . أراد موريتز أن يتركنا ويبحث عنه ، لكن ذلك لم يكن مأمون العاقبة وقد زار صندلنا أصدقاء أولف من الصنادل الآخرى ، ولم يكن من السهل على جومبر أن يجيب على أسئلتهم ، فقال لموريتز :

– دعني أذهب بدلاً عنك ، سأفتش في كل الحانات حتى أجده ، وحينئذ سأحاول اقناعه أن يأتي الى هنا ، وإذا لم يأت ، تضطر أن تحاول أنت . لكن موريتز متردداً ، لكنه وافق في النهاية ، فذهب جومبر في الحال ، وقد أردت أن أذهب معه ، لكن أعرف أن موريتز سيرفضه في البداية ، لكني كنت متأكداً أنني أستطيع اقناعه ، وأخيراً قال :

– نعم يمكنك أن تذهب ، لكن اذا لم تجد أولف ، لابد أن ترجع الى هنا خلال ساعة .

وعدته بذلك ، لكنه كان يوماً سيئاً لي ، فقد حدث شئ ما ، جعلني أخلف وعدي .



٤ ـ محبوس في الحفرة

كانت البلدة أكبر مما توقعت ، وبجانب النهر لم يكن هناك الاصفاً من المخازن الكبيرة ، وحانتين صغيرتين ، وفي الحال لاحظت أن أولف لم يكن في أي منهما . فتقريبا كانتا فارغتين ، لكن الشوارع خلفها كانت مليئة بالناس ، وبسرعة اكتشفت السبب ، فقد كان يوم السوق ، وأحضرت الأطعمة والملابس وأنواع من كل الأشياء ، لكي تباع في الهواء الطلق ، وهناك رجل يبيع قطعاً من الجبن ، توقفت أتأملها ، فانني لم أرى أبداً قطعاً من الجبن مختلفة هكذا في ألوانها وأحجامها وأشكالها .

حينئذ لاحظت الباب المفتوح لإحدى الحانات ، فدخلتها ، كانت مظلمة أكثر من الحانتين ، اللتين عند النهر ، وكانت مليئة بالدخان والناس ، تلفّتُ فيها ، لكن لم أر أولف . نادى عليَّ

شخص ما وسألني :
- ماذا تريد .؟

كان رجلاً ضخماً بديناً . يرتدي معطفاً جلدياً قصيراً . لم أرغب في التوقف والتحدث اليه . لكن موريتز كان قد أعطاني بعض النقود المحلية . لذلك قررت أن أفعل أسلم شيء . وهو أن أطلب كوباً من الشراب فأحضره لي الرجل السمين وأعطيته عملة معدنية كان مذاق الشراب طيباً . لكن الكوب كان كبيراً جداً . وبما أن أولف لم يكن هناك . فقد كنت راغباً في الخروج . شربت حوالي نصف الكوب . ثم مشيت باتجاه الباب فشاهدني الرجل الضخم وصاح بي :

- انك نسيت ما يتبقى لك من صرافة العملة .

أخذتها منه وشكرته ، لكن قبل أن أصل الى الباب . لاحظ كوبي . فقال :

- انك لم تنته من شرب كوبك هو الآخر . ألا ترغب في أن تكمله .؟

أجبته بسرعة :

- لا . انني أشعر بأني لست على ما يرام .

سمع الآخرون محادثتنا وكانوا ينظرون اليّ بأستغراب .

قال الرجل الضخم :

- صوتك يدل على انك غريب ، فمن أين أتيت .؟

كنا قد تمرنا على اجابات لهذا السؤال ، فقلت :

- جئت من تايرول وهي على مسافة طويلة ناحية الجنوب الشرقي من هنا .

ولم يكن بأستطاعتي أن أقول شيئاً أكثراً ازعاجاً من ذلك . فقد علمت فيما بعد إن اسم تايرول . كان مكروها في هذه المدينة . ففي الألعاب الماضية . هُزم صبيهم أمام صبي ملاكم من تايرول . وقالوا انه يلاكم بشكل مخادع . لكنني لم أكن أعرف ذلك . والآن فقد سألني واحد منهم إن كنت متوجها الى الألعاب ، فأجبته :

- نعم .

وفجأة أصبحوا غاضبين كلهم ، وهتفوا بوقاحة وهم يشيرون إليَّ . وقال أحدهم :

- هيا نرمي هذا الكلب القذر في النهر ونجعله يأخذ حماماً .

كنت مضطراً أن أخرج من الحانة بأسرع ما يمكنني ، لكنني لم أنظر أمامي باهتمام إذ مد أحدهم رجله . فانبطحت بوجهي على الأرض .

وضحكوا جميعهم بصوت عال . بدأت أنهض ، لكن يداً ثقيلة أمسكت رأسي وشدت شعري ، ثم دفعت وجهي في الأرض مرة أخرى .

وعندما نهضت أخيراً ، كنت غاضباً ، ونسيت كل قلقي على جوليوس . رأيت ابتسامة صارمة على وجه رجل خلفي ، انه استطاع أن يتفادى ضربتي الأولى القاسية ، لكنني ملاكم متدرب الآن ، تظاهرت بأنني سأوجه لكمة الى وجهه ، ثم ضربته بقوة في

موضع القلب .

فتطوع وسقط على الأرض . ثم نهض ببطء وغضب ، بينما تحرك الآخرون للخلف . ودفعوا المناضد جانباً ، وشكلوا دائرة حولنا ، لم أستطع أن أهرب ولذلك اضطررت أن أقاتل . انه كان أكبر وأثقل مني ، لكن من الواضح انه لم يتدرب على الملاكمة اذ إندفع نحوي واخطأني فضربته وهو يتراجع لذلك فعندما هجم عليّ مرة أخرى ، ضربته بقسوة تحت الصدر ، ثم لكمته بيدي الآخرى تحت فكه ، فوقع بمؤخرته على الأرض وبقي هكذا . فجأة ساد الصمت ، توقعت أنهم سيسمحون لي بالذهاب .لكن ذلك لم يحدث ، فقد نظروا إليَّ بغضب ، وفحص أحدهم الرجل الملقي على الأرض ، ثم قال :

– انه من الممكن أن يتضرر بشكل سيئ وينبغي أن نطلب البوليس .

وأخذني البوليس مباشرة الى القاضي المحلي ، الذي كان لسوء الحظ عم الرجل الذي ضربته . وقال أصدقاء الرجل :

– دخل هذا الغريب إلى الحانة ولم يدفع ثمن مشروبه وتلفظ بكلمات وقحة عن مدينتنا ، ثم ضرب ابن أخيك الذي لم يكن منتبهاً .

ولم يكن ابن الاخ موجوداً هناك ، فأن رأسه قد ضربت بقسوة في الأرض لدرجة أنه لم ينهض للآن . قال القاضي :

– اذا مات فأنك ستعدم ، وفي غضون ذلك ستبقى في الحفرة .

كانت الحفرة عبارة عن جحر باتساع حوالي ١٥ قدماً وعمق

١٥ قدماً ، وكانت أرضية الجحر صخرية ملساء ، بحيث يتعذر على أي شخص أن يتسلقها ، وكانت حواف قمته محاطة بقطع مدببة من الحديد ، لتمنع أي محاولة للهرب ، قام البوليس بالقائي في تلك الحفرة وتركوني هناك ، لكن قبل ان يبتعدوا قال لى أصدقاء الرجل :

– ستكون تسليتنا في الصباح ، فسيأتي الناس ويلقون عليك بيضاً فاسداً وأشياء قذرة . وأذا كانوا غاضبين فعلاً ، فقد يستخدمون الأحجار وقد يستخدمون قطعاً من الخشب وزجاجات مكسرة ، وفي الماضي قتل في هذه الحفرة بعض المساجين بهذه الطريقة .

تأملت النجوم في السماء القاتمة السوداء ، لم تبد هناك اية بارقة أمل في الهرب ، وكنت بارداً ، جائعاً وغاضباً مع نفسي ، مرت الساعات ، لكني لم أستطيع أن أنام ، فقد كانت تزداد برودة . وفكرت قائلاً لنفسي :

– سيأتي الصباح بسرعة ويبدأ الناس برمي الأشياء .

وفجأة سمعت صوتا بالقرب مني ، ورأيت وجها يطل في أعلى الحفرة ، ثم قال الصوت بهدوء : حسناً ، هل أنت هنا .؟

انه كان صوت جومبر ، وكان قد أحضر بعض الحبال من الصندل . فربط نهاية الحبل الى قطعة من الحديد ، وتعلقت بها رافعاً نفسي ، ثم ساعدني في اجتياز سياج الحديد المدبب ، فأصبحت حراً . ولم نضع وقتاً في التحدث .

كانت الحفرة عند طرف البلدة ، التي تقع بيننا وبين النهر .

وبينما البلدة لا تزال نائمة كانت هناك أضوية ، ولحسن الحظ كان جومبر يعرف الطريق ، فجرى واقتفيت أثره ، ولم يشاهدنا إلا رجل واحد ، فصاح علينا ، لكنه لم يحاول أن يتبعنا ، وبمجرد أن رايت النهر إلى أمام ، تعرفت على الشارع الذي يقع فيه السوق ، وبعد ٥٠ ياردة أخرى ، سنكون على ضفة النهر ،وفعلاً وصلناها وتلفتنا حيث كان يجب أن يكون صندلنا (ايرل كوننج) خلف الحانة الثانية وبعده صندل آخر يسمى (سيجفريد) ، نظرت اليه وتوقفت . وفعل جومبر نفس الشيئ ، فقد كان الصندل سيجفريد ما يزال موجوداً هناك لكن المكان المجاور له كان خالياً .

بعد لحظة ، وضع جومبر يده على ذراعي ، نظرات الى حيث أشار ناحية الشمال .

كان صندلنا (ايرل كوننج) هناك في وسط النهر ، وقد ابتعد بحوالي ربع ميل وبسرعة أصبح مجرد مركب لعبة يبتعد في العمق .

٥ ـ بطون خاوية

والآن نحن مضطرون أن نبتعد بسرعة قبل أن يكتشفوا هروبي من الحفرة ، جرينا صوب الشمال على طوال ضفة النهر ، حتى وصلنا الى طرف البلدة ، ومن هناك سلكنا طريقنا غير ممهدة بمحاذاة النهر .

أشرقت الشمس على يميننا وراء التلال ، لكن سحبا قاتمة منخفضة ، كانت تنتشر في السماء ، وبعد ذلك بساعة ، بدأت تمطر بغزارة ، وأصبحت ملابسنا مبتلة بشكل مزعج ، ثم وجدنا بعض الخرابات الجافة على جانب التل ، فقررنا أن نستريح هناك ، حتى يتوقف المطر ، وأثناء انتظارنا هناك ، أخبرني جومبر عن أولف :

– انه رجع الى الصندل قبلي مباشرة ، وكان قد شرب الكثير من

البيرة . وكان عنده استعداد لأن يتشاجر مع أي شخص . وكان شديد الغضب منك ومني بسبب ذهابنا الى المدينة . وكان غاضباً من موريتز بالمثل لأنه سمح لنا بالذهاب . وقال : هذان الصبيان كان يجب أن يمكثا في أسفل الصندل خلال أستراحة الرحلة . كان يجب أن يتعلما أن يطيعا اوامري . وأمن فريتز على كلامه بأننا كان يجب أن نفعل ذلك ، ومر الوقت لكنك لم ترجع . فأصبح غاضباً أكثر ، ثم جاء أحد أصدقائه لزيارته . وقال هذا الرجل ان صبي تايرول قد تعارك في حانة ثم ألقوا به في الحفرة . وهذا جعل إولف غاضباً لدرجة أنه قرر أن يتركك هناك وقال : ان هذا الصبي خطر على كل خططنا . انني لا يجب أن انتظره . وبالتاكيد لن أحاول تخليصه . والصندل سيتحرك في الصباح . وسوف يذهب صبيان الى الألعاب بدلاً من ثلاثة . فكل مشاكل ويل من غلطته هو . لقد أصبح في الحفرة ويمكنه أن يبقى فيها .

كنت أستطيع ملاحظة أن جومبر كان قلقاً بشكل مريع ، انه كان خاضعاً لأوامر أولف وينبغي عليه أن يطيعها ، وقد كان أولف على صواب تماماً ، فقد تعرضت خطتنا للخطر ، وكانت الخطة أهم مني. وبذلك كان واجب جومبر واضحاً . فهو وفريتز مضطران ان يكسبا الألعاب ويصلا الى مدينة ذوي القوائم الثلاثة . لكنه تحدث الى موريتز وسأل عن الحفرة ، تشبه ماذا .؟ أين هي .؟ وربما كان موريتز غبياً جداً ولم يفهم السبب من وراء هذه الأسئلة ، أو ربما فهم وأراد أن يساعدني ، جومبر نفسه لم يكن يعرف ، ولابد أن

أولف اكتشف بسرعة أن جومبر سيرجع مرة أخرى ، وقد كان بلا شك خائفاً من البوليس ، ولابد أنه قرر أن يغادر قبل أن نرجع ونبدأ في طرح الأسئلة .

وهكذا بقينا بلا مساعدة ، وكانت لا تزال بيننا وبين الألعاب عدة مئات من الأميال ، فكيف يمكننا مع ذلك أن نصل هنال في الوقت المناسب .؟

توقف المطر وظهرت الشمس ، وبينما نحن نمشي جفت ملابسنا بسرعة ، لكن بعد فترة ، رجع المطر مرة أخرى ، وعند الظهر كنا متعبين ومبتلين ، وكنت جائعاً جداً ، فأنا لم أكل شيئاً منذ أن غادرت الصندل ، وكانت لا تزال هنا نقود محلية قليلة ، لكن هنا في الخلاء الممتد ، لم تكن هناك دكاكين ، فقد كانت توجد حقول وأخشاب ، وفي أحد الحقول ، كانت هناك جذور من تلك التي تأكلها الماشية ، فأخذنا بعض منها ، كان طعمها فظيعاً ، لكنها أفضل من لا شئ ، قضينا الليل في بعض الخرابات ، لكننا أستطعنا أن ننام فترات قليلة ، كنا نعاني كثيراً من البرد والبلل ، وسببت لنا الجذور ألاما في المعدة . وفي الصباح التالي وصلنا الى مجموعة من العشش على النهر ، فقال جومبر :

— عندي فكرة ، سأتظاهر بأنني متشرد ، ربما أمنح بعض الطعام ، في بلدي لا توجد بيوت للمتشردين ، وهم مضطرون للنوم في الأكواخ والخرابات ويتسولون طعامهم وربما عندهم نفس العادات هنا .

انه ذهب الى أول بيت وطرق الباب ، فلم يفتح ، لكن صوتاً بالداخل صاح بغضب ، وفي البيت الثاني لم تكن هناك اجابة على الأطلاق ، وفي الثالث فتح باب غرفة نوم ، ثم صب فوقه دلو من الماء القذر ، وبدأ يجري مبتعداً عندما فتح الباب ، فالتفت جومبر وكان لا يهتم بأن توجه اليه إهانة ، اذا كان بأمكانه أيضاً أن يحصل على بعض الطعام ، فجأة بدأ يجري ، فقد أطلقوا كلباً شرساً كبيرا ، كان من الواضح أنه مدرب على مهاجمة الزائرين غير المرغوب فيهم ، ولحسن الحظ أنه لم يتبعه لمسافة بعيدة لكنه كان هروباً صعباً ، واضطررنا أن انكل المزيد من جذور الحقول ، رغم أنها تسبب لنا الألام ، فلم يكن هناك شئ أخر صالحاً للأكل ، وكنا جائعين بشكل فظيع ، ثم بدأت تظلم ، فلاحظنا صندلا عند ضفة النهر ، ترى هل يكون هو «ايرل كوننج» .؟ لكن ذلك كان أملاً ساذجاً وسرعان ما خاب أملنا ، فقد كان أكبر من «ايرل كوننج» ، وكان شامخاً على صفحة النهر ، يتجه صوب الجنوب . بعد ذلك عثرنا على كوخ قديم مهجور ، لقضاء الليلة فيه ، رقدنا هناك في الظلام والسكون ، وتساءلت مع نفسي عما يكون جومبر يفكر فيه الآن ، فلو لم أكن غبياً الى هذ هالدرجة ، لكان هو الآن آمنا ودافئاً في الصندل ، لكنه احتفظ بأفكاره لنفسه ولم يفصح عنها ، قال لي :

– ويل .

– نعم ياجومبر .

– لابد أن يكون لهذا الصندل مرسى منتظم . ونحن لم نمر بمرسى منذ أن غادرنا البلدة . وبذلك فاننا خلال يومين قطعنا المسافة التي يقطعها الصندل في نهار واحد .

وكانت هذه حقيقة . فلم أقل شيئاً . لذلك استمر يقول :

– بهذه السرعة لن نصل إلى الألعاب حتى تنتهي .

– وهل ينبغي أن نرجع بدلاً من ذلك .؟

– الى السرداب .؟ انني لا اعرف ماذا سنقول لجوليوس .

– ولا أنا . لكن ماذا يمكننا أن نفعل غيرذلك .؟

– يجب أن نذهب بأسرع من ذلك ولابد أن نستخدم النهر . أننا لن نجرؤ أن نطلب من صندل آخر ان يحملنا . لكن لو كان لدينا قارب ..

فقلت مقاطعاً بلهجة فيها شيئ من الخشونة :

– سيكون ذلك مدهشاً ولو كانت لنا أجنحة . كنا نستطيع الطيران .

لكن جومبر لم يعر اهتمامه لملاحظاتي الساخرة واستطراد يقول بهدوء :

– قارب أو طوف .؟ جانب من هذا الكوخ . ربما .؟ انه أيل للسقوط . وإذا وضعنا جانباً منه في الماء . فسوف يطفو . والتيار سيحمل الطوف بأسرع مما يحمل الصنادل .

وفجأة أمتلأ فكري بالأمل ونسيت جسمي البارد ومعدتي الفارغة . كانت فكرة جومبر قابلة للتنفيذ . وقد صنعت ذات مرة

طوفاً أنا وأبن عمي جاك وعومناه في بحيرة ، وقد تفكك إلى عدة أجزاء واسقطنا في الماء ، لكننا حينئذ كنا أطفالاً صغارا وكذلك كان طوفنا مصنوعاً بشكل سيئ ، فقلت :

– هل حقاً نستطيع أن نعمله .؟ وهل سيحملنا التيار بسرعة كافية .؟

أجاب جومبر :– في الصباح ... سنحاول في الصباح .



٦ ـ نبني طوفا

كان الصباح مشرقاً ، فبعث فينا شجاعة إضافية ، بدأنا نعمل بمجرد أن بزغ الضوء ، كان هناك جانب من الكوخ أيلا للسقوط دون البقية ، كانت مساحته حوالي ستة أقدام طولاً وستة أقدام عرضاً . وبينما كنا نشده لنسقطه تناثرت ألواحه المفككة . فقال جومبر :

– يمكننا بسهولة أن نثبتها معاً مرة أخرى ، ونستطيع أن نأخذ ألواحاً قوية من جانب آخر من الكوخ ، ونسمرها معهم بالعرصه ، وتوجد كمية من المسامير السائبة وهذا حجر أملس سيكون هو شاكوشنا (مطرقتنا) لكنك ستفعلها بنفسك أفضل ، أنك ستنفذها بمهارة أكثر مماأستطيع أنا وكان محقاً في ذلك ، فقد كنت دائماً بارعاً في أستخدام يديَّ ، لكن ليس باستخدام رأسي ، وكان عملاً شاقاً واستغرق وقتاً طويلاً .

وعندما أنتهينا ، كانت الشمس قد أرتفعت فوق التلال . والآن كنا مضطرين لوضع الطوف في الماء . وهذا أيضاً لم يكن سهلاً ، فهناك ثلاثون ياردة من الطين الناعم المبتل ، بين الكوخ والنهر .

وكان الطوف أثقل من أن يحمل ، لذلك كنا مضطرين أن نجره بكل وسيلة . أخيراً وصلنا الى حافة الماء ، وكانت هذه من لحظات حسن الطالع بالنسبة لنا عثر جومبر على عش طائر مائي وبه أربع بيضات كبيرة ، فأكلناها نيئة ، لكن طعمها كان أفضل كثيراً من الجذور .

والآن فقد دفعنا الطوف بعيداً عن الشط وتسلقنا عليه بحذر . وبدأت رحلتنا ، دار بنا التيار في دورة ودورة ، ثم حملنا خارج الماء العميق ، كان الطوف عائماً ، لكن مجرد أنه يطفو فقط . فثلاثة أرباعه تحت الماء ، وكنا مضطرين أن نتبادل النوبات في الركن الجاف ، فلم يكن المكان يكفي إلا واحداً منا فقط ، أما الآخر فيجلس في الجزء المغطي بالماء ، وكان الماء بارداً بدرجة فظيعة . حيث أنه جاء من الجليد فوق الجبال الهائلة لكننا في المحصلة النهائية كنا نتحرك أسرع مما كنا على الارض ، والشمس تشرق لامعة في سماء صافية ، فجأة ناداني جومبر وهو يشير بيده ، كانت مركبة ثلاثية القوائم ، تسير عبر الحقول على الجانب الغربي من النهر ، ولسبب غريب ، بعث منظرها فيَّ شجاعة ، لقد كنا صغيرين وضعيفين ، بينما كانت هي ضخمة وقوية ، لكننا نعرف أنها من

الممكن أن تتحطم ، بعد ذلك بساعة مررنا بصندل ، كان يخوص النهر ، لذلك لم يكن قريباً منا كثيراً ، نظر الرجال من فوقه علينا باندهاش . وهتف أحدهم بشيء ما ولابد أن منظرنا كان غريباً ونحن نعوم على طوفنا الذي غطس معظمه تحت الماء . وخلال ذلك كنا نزداد جوعاً كل دقيقة . قال جومبر :

– كانت هذه البيضات طيبة المذاق ، لكنها لم تملأ معدتينا ، ومالم نصل إلى الشط ، فلن نعثر على شيئ يؤكل

وفي هذه اللحظة ، اكتشفنا في وقت متأخر جداً ، أننا لانستطيع توجيه طوفنا . وقد حاولنا باستخدام لوحين مكسورين . لكن جهودنا فشلت ، كنا نستطيع أن نسير فقط إلى حيث يأخذنا النهر . وعلى هذا فكيف يمكننا أن نرسو . ؟

قلت لجومبر

– يمكننا أن نرتطم بالقاع في الماء الضحل وإلا فسنضطر إلى ترك الطوف ونعوم . فاعترض جومبر قائلاً :

– نعوم ؟ من هنا ؟ نحن تقريباً في وسط النهر والتيار قوي جداً . سنكون مضطرين للقيام بسباحة شاقة جداً للوصول إلى الشط وسوف أتجمد قبل أن أصل إليه .

وعلى مسافة غير بعيدة عنا ، قفزت سمكة ضخمة من الماء . لو كنا نستطيع الامساك بها ، كنا سنسعد بأكلها نيئة

أغمضت عينيَّ لحظة وحلمت بطعام . تخيلت أمي تشوي دجاجة على نار المطبخ في البيت . ورأيت خلفها خبزاً وجبناً على

المائدة ، خبزاً طازجاً ناعماً وجبناً أصفر دسماً ، وتقريباً كنت أشعر بأنني أتذوق طعمها .

مرت الساعات، وارتفعت الشمس عالياً فوقنا ، ثم بدأت تنحدر ببطء نحو الغرب شربت كمية من الماء لملئ معدتي الفارغة ، لكنها أتعبتني فقط ، ولم يتناقص شعوري بالجوع ، وفي النهاية قلت لجومبر:

– لابد أن نجد الطعام في مكان ما ، هناك قرية على الضفة اليسرى ، وأخرى على اليمنى ، ونستطيع أن نسرق شيئاً من حدائقها أو مطابخها ، فإذا عملنا بجد مستخدمين هذين اللوحين المكسورين ، قد نتمكن من الوصول إلى الشط .

فأعترض قائلاً :

– لقد فعلنا ذلك هذا الصباح وفشلنا ، وإذا حاولنا ثانية ، فمن الأفضل أن ننتظر حتى المساء ، فلن نستطيع الذهاب للبحث عن طعام قبل أن يحل الظلام .

– في المساء قد لانستدل على قرية .

تناقشنا وأخيراً وافق جومبر ، كان التيار ملائماً لحملنا بالقرب من الضفة الغربية ، وحاولنا بمشقة أن نوجه طوفنا نحو هذا الجانب ، وكانت النتيجة تسلي أي شخص يشاهدنا من الشط ، فقد كان الطوف يلف بنا ويدور ، ولم يتغير موقعنا في التيار ، فمازلنا في وسطه ، ولم نقترب من الضفة ، وبعد دقائق قليلة توقفنا عن المحاولة ، وضاعت كل جهودنا ، قال جومبر : – لافائدة .

فأجبته: إذن سنضطر للسباحة الى الضفة وإذا فعلنا ذلك سنفقد طوفنا . لقد أردنا ذلك بالطبع ، ولم يكن هو بحاجة إلى أن يخبرني ، فقلت بغضب :

– لن يمكننا الاستمرار بدون طعام ، كان يجب ألا نبدأ هذه الرحلة ، فما الفائدة من طوف لايمكنك السيطرة عليه. ؟

ولم يقل جومبر شيئاً ، فاستطردت :

– وماذا سيحدث الليلة . ؟ اننا لن نستطيع أن ننام هنا ، فسوف نتدحرج عن الطوف ونغرق ، لذلك لابد أن نصل الى الارض قبل أن يحل الظلام . قال :

– نعم ، أوافقك ، لكن دعنا ننتظر لمسافة أطول من ذلك قليلاً ، فلاتوجد منازل أمامنا الآن .

كانت هذه الحقيقة ، فقد أصبحت القرى الآن بعيدة خلفنا ، وكان النهر يتدفق بين شطآن خضر ، بما لايحمل علامة على حياة . قلت : – أعتقد أنك على حق .

لكنني مازلت أشعر بالجوع ، لذلك أضفت قائلاً :

– هذا دوري للجلوس على الجزء الجاف من الطوف ، لقد ظللت على هذا الجزء المبتل وقتا طويلاً جداً .

أخيراً ، مررنا بخرابات بلدة ، ثم قابلنا صندلا آخر ، وتقريباً صحت عليه طلبا للمساعدة ، فقد كرهت أن أدعه يمر في صمت .

عند الظهر شاهدنا مرسى ، حيث كان هناك صندل مربوط الى الشط . وهنا مكان آخر به صندلان ، لكن لم يكن «ايرل كوننج»

واحداً منها . وتعجبت كيف كان يبتعد هكذا للامام .

أتى المساء . ولم أقل شيئاً آخر عن مغادرة الطوف ، وأدرك جومبر جيداً أننا لابد أن نضطر للسباحة . وكنت أنتظره أن يختار اللحظة المناسبة. لكن النهر أصبح أكثر أتساعاً الآن ، وكنا نتحرك في مركز الوسط ، ولم تكن السباحة سهلة في أي وقت ، كما أن صعوبتها ستتضاعف بالنسبة لصبيين يعانيان من الجوع والتعب والبرد.

وبشكل مفاجئ ظهرت مركبة ثلاثية القوائم ، كانت آتية من جهة الشمال على إمتداد الضفة الغربية للنهر ، وكانت بعيدة عنا بمائة ياردة فقط . ولم يحدث أن كنا قريبين من مركبة ثلاثية القوائم هكذا ، منذ أول مجيئنا الى الجبال البيضاء ، حبست أنفاسي بخوف ، ربما أنها لم تلحظنا ، آه ، نعم ، لقد انتبهت إلينا ، كانت تدور متأرجحة صوبنا ، تبعث صرخة مرعبة ، أرتفعت نافورات هائلة من الماء ، حينما غاصت القوائم المعدنية في النهر ، لقد كانت متجهة إلينا مباشرة .. هل يكون أصحابها قد أوقفوا الصندل « ايرل كوننج » ؟ هل استجوبوا فريتز . ؟ هل كانوا يعلمون إلى أين كنا ذاهبين ، وما السبب . ؟ هل جاء وا للبحث عنا . ؟ نظرت إلى جومبر وهو أيضاً نظر اليَّ ، فقلت : — الأولى بنا أن نغطس .

أن ذلك كان متأخراً جداً الآن ، فقد مالت علينا ذراع طويلة من الصلب وضربت الطوف بيننا ، فتكسرت الألواح الضعيفة إلى قطع صغيرة ، وفي اللحظة التالية ، كنا تحت الماء .

٧ ـ الجزيرة

توقعت أن يخطفني هذا الذراع ، عندما كسر الطوف بدلا من ذلك ، وقد ذهلت من شدة الخوف ، وبسبب عنصر المفاجأة ، نسيت أن أغلق فمي ، فامتلأ بالماء ، بينما كنت أغرق ، وعندما صعدت ثانية ، كنت أكح بشدة ، وتلفت بسرعة ، لكن المركبة الثلاثية القوائم قد ذهبت واستطيع أن أراها تسير مبتعدة في صمت وهكذا فقدها جميعاً للتسلية فقط . كانت هناك قطعة من الطوف المكسور ، تطفو قريباً مني فسبحت أليها وأمسكت بها ، ثم تلفت باحثاً عن جومبر ، لكن لم أستطيع أن أرى شيئاً غير النهر القائم البارد فهل ضربه الذراع الصلب ؟ وهل سأراه بعد ذلك ثانية ؟

حينئذ سمعته يردد أسمي ، أدرت رأسي فرأيته يسبح باتجاهي وبسرعة أمسك بنهاية اللوح الخشبي ، الذي أمسك أنا به . والذي

لم يكن كافياً لحملنا بالطبع ، لكنه ساعدنا على التقاط أنفاسنا ثانية تساءلت :

– هل نسبح إلى الشط ؟

بدأ جومبر يسعل ، ثم قال :

– مازلت أفكر أنظر للأمام أنحناءات النهر ، اذا واصلنا من الممكن أن تقربنا أكثر من الشط .

وفعلا وافقت ، إذ لم أكن راغباً في ترك اللوح الآن كان التيار يبدو هنا أقوى والأمواج كانت أعنف . لكن النهر لم يكن واسعاً وكان ينثني ملتفاً إلى ناحية الغرب . وبينما هو هكذا كانت الضفة الشرقية تبدو منفرجة فصحت قائلاً :

– النهر ينقسم هناك .

قال جومبر موافقاً :

– نعم . وأعتقد أن باستطاعتنا أن نسبح الأن ياويل .

كنت قد تعلمت السباحة في نهر بلدتنا لكن جومبر كان قد تربى في المدينة ساحلية . لذلك فهو فهو متمرن أكثر مني على السباحة ويعتبر سباحاً قوياً ، كان قد سبقني بسرعة ، وعندما لاحظ ذلك ، صاح قائلاً :

– هل انت على ما يرام ؟

فأجبته : نعم . على ما يرام .

كنت أسبح بجدية . لكن التيار كان قوياً جداً . ثم لاحظت

شيئاً ، جعلني قلقاً بالفعل فالضفة التي اتجهت أليها كانت هي النهاية الضيقة للجزيرة وبعدها كان النهر متسعاً جداً ، ولو فقدت الجزيرة ، استدرت وسبحت ضد التيار مباشرة وصاحني جومبر مرة أخرى . لكني لم أكن أتنفس بما يكفي لكي أرد عليه ، وبينما كنت مستمراً في السباحة . إزداد تعب ذراعيّ أكثر ، وكان الماء يزداد برودة وهياجاً كل دقيقة ولم يعد بإمكاني رؤية أين أنا ذاهب . ثم ضرب شيئ ما رأسي وغطست تحت الماء ولا أذكر شيئاً بعد ذلك إلى أن شعرت بشخص ما يجرني على أرض جافة فقد أنقذني جومبر وفي هذا الوقت كنا على الجزء الشمالي من الجزيرة الذي يقع في انحناءة النهر . وخلفنا تمتد المياه الواسعة الهائجة لمسافة بعيدة . كانت رأسي تؤلمني . فوضعت يدي عليها قال جومبر :

– قطعة من الخشب ضربت رأسك . أظن أنها جزء من الطوف ألا تشعر بتحسن الأن ياويل ؟

– تبدو رأسي وكانها تدور . ما هذه الأنوار العالية هناك ؟

– أنها قرية .

كانت قرية . لكنها على الضفة الشرقية وكنا نحن فوق جزيرة فقلت :

– أنا جائع بشكل فظيع . ويمكننا أن نأخذ بعض الطعام من هذه القرية . لكني لا أستطيع عبور النهر . أني أشعر بضعف شديد .

– سنعبر في الصباح .

أومأت برأسي فقط . إذ كنت متعباً جداً ولا أقدر أن أجيب

بشكل صحيح فاستمر جومبر يقول :

– هناك بعض الأشجار ، ستحمينا لو نزل المطر ، هل يمكنك أن تمشي الأن ؟

أومأت برأسي ثانية ومشيت بضع خطوات ، لكني توقفت ، فقد كان هناك رجل يقف عند بداية الأشجار وكان يراقبنا . أما الأن فقد اتجه ألينا . ومع أن السماء بدأت تظلم الا أنه مازال هناك ضوء كاف لنراه بوضوح ، كان طويلاً نحيفاً ، وربما في الخمسين من العمر كان شعره طويلاً وملابسه خشنة ، كملابس المتشرد ، قال موجه كلامه لجومبر :

– ألا يجيد صديقك السباحة ؟ لقد رأيتك تنقذه .

كانت حالته غريبة ، فهل سر برؤيتنا أم لا ؟ شعرت أنه سيكون سعيداً تماماً لو شاهدنا نغرق حينئذ أضاف قائلاً :

– ستحتاجان لتجفيف نفسيكما الأفضل أن تأتيا معي .

دارت في عقلي كل انواع الأسئلة ، لكنها اضطرت كلها أن تنتظر إلى ما بعد ذلك نظرت إلى جومبر وأومأت له .

قادنا الرجل بطول ممر يتخلل الأشجار ، حتى وصلنا إلى مساحة متسعة . وكان في مواجهتنا جوخ خشبي . وفي شباكه مصباح زيتي ، ويتصاعد دخانه من المدخنة ، فتح الباب وتبعناه إلى الداخل .

كانت النار مشتعلة في موقد حجري ، وفي مواجهتها أمتد بساط أحمر واسع كانت تجلس علية ثلاث قطط ، فأبعدها بلطف ،

ليخلي الغرفة الدافئة لنا ، وقال :

– إخلعا ملابسكما المتبلة ودفئا نفسيكما أمام النار وسوف أعيركم بعض القمصان والسراويل ، حتى تجف ملابسكما .

ثم نظر إلينا باستغراب وقال :

– هل أنتما جائعان ؟

قال جومبر :

– جائعان جداً ياسيدي ، لو أنك . .

– لا تقل سيدي ، أنا هانز ، يمكنكما أن تأخذا بعض الخبز وللحم البارد فأنا عادة لا أطبخ في المساء .

فقلت :

– سيكون الخبز كافياً لنا .

تفرس في وجهي وقال :

– انكما تحتاجان أكثر من ذلك ، دفئا نفسيكما وسأقدم لكما بعض الطعام . بالطبع كانت القمصان والسراويل كبيرة جداً ، وبما أن جومبر كان أطول فقد ناسبته أفضل مني ، واضطررت أن ألف كمر سروالي ، أما القمصان فقد وصلت إلى ركبتيّ .

وبينما كنا نبدل ملابسنا ، كان هانز يضع أشياء على مائدة تحت الشباك : سكاكين وآطباقاً وبعض الزبد الأصفر ورغيفاً كبيراً من الخبز الأسمر ، وقطعة كبيرة من اللحم البارد المطبوخ .

بدأت بتقطيع قطع من اللحم وقطع جومبر الخبز . رأيت هانز يراقبني ، فشعرت بالخجل لتقطيع أجزاء كبيرة من اللحم ، لكنه

أومأ إليّ فقط وابتسم . ثم أحضر لنا أكوكوبين من الشراب ، نبهت نفسي أن آكل ببطء . لكني نسيت بسرعة ، وكان الطعام طيب المذاق ، لدرجة أنني أنهيته سريعاً جداً . صحيح أن فكي آلمني ، لكن معدتي ما زالت تدعوني ان أكل المزيد قال هانز :

– أنت جائع بكل تأكيد .

نظرت إلى طبقي باحساس بالذنب ، فاستمر يقول :

– لا تقلق ، كل كثيراً مثلما تريد ، أنا أحب أن أرى شخص يستمتع بطعامه . أخيراً انهيت من الأكل مثلما تريدأحسست بالشبع ، التام وسعدت .

كانت الغرفة دافئة ومريحة ، والمصباح يضيئها بنور خافت ، وعادت القطط إلى أماكنها بجانب النار .

خمنت أن هانز سيبدأ الأن بطرح أسئلة : من أين جئتما ؟ لماذا كنا في النهر؟ لكن ذلك لم يحدث انه فقط جلس في مقعده المفضل ، يراقب النار ، لم يبد أن الصمت يقلقه ، وفي النهاية انكسر الصمت عندما سأل جومبر :

– هل تعيش وحيداً في هذه الجزيرة ؟

– نعم ، أعيش هنا بمفردي منذ مات والداي ، لا يزورني أحد ، ونادراً ما أذهب الى القرية ، أعمل بجد في مزرعتي وأنتج طعامي .

فقلت :

– كانت أكلة رائعة ، نحن متشكران جداً لمساعدتك .

– مرحبا بكما ، لكن بما أنكما هنا ، تستطيعان مساعدتي بالمقابل ،

فبعض الأخشاب في الطرف الآخر من الجزيرة ، تحتاج الى التقطيع ، يمكنكما أن تفعلا ذلك صباح غد ، وهذا سيعوض طعامكما . وربما فيما بعد قد أجدف بكما ونعبر الى القرية .

كان جومبر على وشك أن يقول شيئاً ، لكنه توقف، واكتفى بأن أومأ برأسه ، فهو مثلي قد لاحظ كلمة : «ربما»

نحن الاثنان اندهشنا لما كان يخطط له هانز ، فأناس آخرون طردونا بغضب ، لماذا يبدو هذا الرجل كريما معنا هكذا .؟

ساد الصمت ثانية ، بينما كان هانز يتأمل النار بهدوء ، أخيراً وقف قائلاً :

– الأن أنتما بحاجة إلى نوم جيد ، انني أصحو مبكراً ولذلك أنام مبكراً . أحضر بطانيتين من غرفة نومه ، ثم أخذ المصباح ، وودعنا قائلاً :

– ليلة سعيدة .

رقدت أنا وجومبر على الأرض قرب النار ، أتعبتني معدتي ولم أتوقع أن أنام كثيراً ، كنت أشتطيع رؤية القطط الثلاثة في ضوء النار ، لكي تنام على بساطها بينا ، ثم أغمضت عينيّ وعندما فتحتها مرة أخرى كانت القطط قد ذهبت وضوء الشمس ينعكس على رماد النار البارد ، وجاء هانز بخطواته الثقيله ليوقظني قائلاً :

– حان وقت الاستيقاظ .

٨ ـ هانز يفقد زورقه

أعد لنا هانز إفطاراً رأ رائعاً ، كان هناك لحم ، ومثلما نريد من البيض ، وكذلك الشراب ، قال هانز : كلا جيداً ، لتكونوا قادرين على العمل بشكل جيد . أخذنا إلى شمال الجزيرة ، حيث يوجد حقل الحبوب ، وقال :

– أريد أن أوسع هذا الحقل ، لذلك فأنا مضطر إلى قطع هذه الإشجار واقتلاع جذورها ، يمكنكما أن تشرعا في ذلك من أجلي .

قدم لنا فأساً ومسحاة ، وظل يراقبنا بضع دقائق عندما بدأنا العمل ، ثم تركنا ، كان عملا صعباً فالأشجار طويلة جداً وجذورها عميقة .

أقترح جومبر :

– لو عملنا بشكل جيد هذا الصباح ، يمكن أن يكون ذلك كافياً كمقابل لطعامنا ، ثم يستطيع أن يعبر بنا النهر بعد ظهر اليوم .

لكن عندما رجع هانز عند الظهر . لم يبد أنه راضي عما حققناه . وقال :

– يجب أن تعملا أكثر من ذلك . ما فعلتماه يعتبرً بداية والافضل ان تأتيان الأن لتناولا غذائكما .

كان قد شوى دجاجتين وأطعمنا بسخاء . وعندما أتينا على طبق من الفاكهة . قال :

– يمكنكما أن تستريحا الأن لمدة نصف ساعة . بعد ذلك تستطيعان الرجوع الى الحقل . واتركا الشجرة الكبيرة إل اِلياِلى الغد أريد إسقاطها بعناية على الجانب الأيمن من الطريق .

خرجنا وتمددنا في الشمس . قلت لجومبر :

– غداً ؟ لكنه عرض علينا أن يعبر بنا النهر بعد ظهر اليوم .

قال جومبر ببطء :

– غداً . واليوم التالي له . عزم على أن يبقينا هنا حتى ينتهي هذا الشغل اِلى أن نقطع كل هذه الأشجار ونقطع جذورها . فاعترضتو قائلاً :

– لكن ذلك يستغرق أسبوعاً على الأقل . ومن المحتمل اسبوعين .

– نعم . ويجب أن نستعجل وإلا سنتأخر عن الألعاب .

– ولن نصل في الموعد اِذا واصلنا على الأقدام . يجب أن نصنع طوفاً أخر نصل في الموعد آخر . يكون أفضل من السابق لكن ذلك قد يؤخرنا أكثر . اننا نحتاج قارباً .

وبشكل مفاجيء خطرت ببالي فكرة . لماذا لم أفكر فيها من

قبل ، كنا قد رأينا قارب هانز في الطريق إلى الحقل ، كان في خليج صغير شرقي الجزيرة ، انه قارب صغير قوي ، وله مجدافان .

تقابلت عيناي بعين جومبر ، كان من الواضح ان لديه الفكرة نفسها فقلت له :

– من الممكن أن نهرب هذا المساء ، قد يكون ذلك فيه احجاف بحق هانز ، لكن ماذا نستطيع أن نفعل غير ذلك ؟

– نعم ، القارب مهم بالنسبة لنا ، انه يعتمد مد عليه في زياراته للقرية ، وسوف يضطر أن يبني لنفسه قارباً آخر ، وسيتم هذا العمل على مهل لكننا نعرف أنه لن يساعدنا ، انه فقط يريدنا أن نبقى هنا ونعمل من أجله ، ونحن لدينا واجبات أكثر أهمية ، اننا ياويل مضطران إلى دخول مدينة ذوي القوائم الثلاثة ، وهذا أكثر أهمية من رجل عجوز وحيد ومن قاربه .

لذلك في هذا المساء سيضيع منا نصف يوم ، كما انه سيلحظنا لو غادرنا الكوخ حينئذ ، فرصتنا المناسبة الأن .

بدأنا نسير خلال الأشجار ، متجهين ناحية عملنا ، وكنت أنظر خلفي ، لم يكن هناك أي أثر لهانز ، حينئذ جرينا كل الطريق إلى القارب . فقفز جومبر إليه والتقط المجدافين ، وبدأت أنا بفك الحبل الذي رُبط حول شجرة لكن العقدة كانت محكمة الشد جداً ، وعصت على الفك ، تمنيت لو كانت معي سكين ، صاح جومبر بشكل مفاجئ :

– اسرع ياويل ، أعتقد أني أسمعة سمعه قادماً .

الآن استطعت أن أسمعه أيضاً ، كان يجري ويصيح بغضب ، جذبت العقدة بعنف وانحلت فقفزت إلى القارب . وبينما كان جومبر يدفع بنا القارب مبتعداً عن الضفة ، برزت هيئة هانز من خلال الأشجار ، اندفع في الماء مباشرة ، فواصل الى صدره في الحال ، وأمسك طرف مجذاف للحظة لكن جومبر جذبه منه ، ثم أخذنا التيار إلى حيث لا يستطيع أن يتبعنا ، فوقف يتصايح وتبدلت حالته ، كان ينظر بحزن وحني بحزن وخيبة أمل .

لدرجة أنني أشفقتُ عليه ، وبعد الأن سأشعر بالخجل عندما أتذكر ملامح وجهه سافرنا في النهر بسرعة بعد ذلك ، كنا نجذف ونستريح في نوبات ، حتى حل الظلام ، كان الطعام هو المشكلة ، وقد عثرنا على أشياء صالحة للأكل ولكننا دائماً كنا جائعين ، مررنا بصنادل متنوعة ، لكننا ابتعدنا عنهم بسهولة كان النهر لا يزال يزداد أتساعاً وهو يتدفق نحو البحر ، مررنا بمزارع وقرى وخرابات مدن قديمة . وشاهدنا مركبات ثلاثية القوائم عدة مرات ، لكنها لحسن الحظ لم تقترب منا ، وهناك كانت روافد نهرية تجري باتجاهنا ، كما كانت هناك قلاع قديمة ، تقف بالقرب منا على سواحل صخرية عالية وفي أحد الأماكن كانت هناك صخرة قائمة تنتصب في وسط النهر ، هذه الصخرة كانت عالية علو المركبات ثلاثية القوائم .

وهكذا وصلنا آخيراً إلى المكان الذي تقام فيه الألعاب ، وهناك كانت عدة صنادل مربوطة الى الضفة ومن بينها الصندل «ايرل كونخج»



٩ ـ بداية الالعاب

كانت الأرض هنا منبسطة ، والتربة الغنية السوداء تنتج محاصيل وفيرة ، والازهار البرية تنمو بكثافة في العشب ، وكانت أشرعة الطواحين الهوائية تدور ببطء في ريح جنوبية دافئة . قال الناس :

هذا طقس مناسب للألعاب .

كانت البلدة تقع غربي النهر ، وقد وفد إليها كثير من الناس ، بعضهم كانوا متنافسين في الألعاب ، لكن معظمهم جاء ليتفرج .

ازدحمت البلدة بالزائرين ، الذين ملأوا القرى المحيطة بها ، والاف متزايدة كانوا يعسكرون في الحقول ، وكل واحد يأتي مرتدياً أحسن ملابسه ، ويبدو الجميع سعداء ، كانوا يقيمون الولائم ويحتفلون .

وفي هذه الليلة اضطررنا أن ننام في الحقول ، قال جومبر :

– لكن غداً ، ستبدأ الالعاب ، واذا لم نفشل في الاختيارات الآولية ، فانهم سيقبلوننا ، حينئذ يجب أن نأكل وننام في أكواخ خاصة مع المتنافسين الآخرين ، وسينضم فريتز إلينا مرة آخرى .

في الصباح التالي ، كانت الأعلام ترفرف في كل الشوارع وكذلك حول ساحة الألعاب وكأنها الاف من الأزهار الزاهية ، وخلفها كانت توجد صفوف من المقاعد المتدرجة حيث يستطيع الجمهور ان يجلس ويشاهد .

قلت لجومبر :

– توجد خيمة للحكام ومكان لوقوف الفائزين ، هل سنكون من بينهم ياجومبر . ؟

انت وأنا وفريتز . ؟ أتمنى ذلك .

كنا نعلم ان باستطاعتنا إجتياز الاختيارات الأولية وقد فعلنا ذلك بسهولة ، كنت مضطراً للتلاكم مع صبي في نفس عمري ، وبعد نصف دقيقة ، أوقف الحكم المبارة ، وكان الصبي الأخر مضطراً أن يحاول ثانية ، لكنني أُرسلت الى خيمة المتنافسين ، فقام أحد الأشخاص بوزني وكتب اسمي في قائمة ، فقد قُبلت . وفي الخيمة قابلت فريتز ، فلم يبد استغرابا ولم يسأل كيف وصلت الى هناك ، فأخبرته :

– جومبر هنا أيضاً .

أومأ برأسه قائلاً : – ثلاث فرص أفضل من واحدة .

فكرت في أنه دائماً كانت لديه بعض الشكوك بالنسبة لنا ، كان قد خطط الى أن يصل الى المدينة بنفسه ، ولم يكن يعتمد على مساعدتنا . تقريبا كانت بي رغبة في أنه يخسر سباقه الأول ، لكن ذلك كان ضرباً من الغباء ، فقلت لنفسي :

– على الاقل لابد أن يفوز واحد منا ، وحتى لوفاز فريتز بدلاً مني ، فلا يجب أن أكون حسوداً .

بعد ذلك التقيت جومبر مرة أخرى ، كان هو الآخر قد اجتاز الاختبار بدون صعوبة ، وذهبنا معاً الى خيمة الغذاء لنتناول وجبة ، فسألته :

– هل تعتقد أنك ستفوز . ؟

فقال بجدية :

– نعم ، اعتقد ذلك ، انني لم أضطر لبذل مجهود صعب في الاختبار ، وانت ياويل . ؟

– ان الصبي الذي ضربته قُبل أيضاً .

– هذه علامة طيبة ، الا نذهب ونبحث عن فريتز . ؟

– سيكون أمامنا وقت لذلك فيما بعد ، هيا نأكل اولاً .

في صباح اليوم التالي أقيم احتفال مفتوح ، وقد حملت أعلام الألعاب الخاصة من البلدة الى ساحة الآلعاب ، وكل واحد يمشي خلفها ، ثم تحدث قائد الآلعاب ورحب بكل المتنافسين ، كان رجلا عجوزاً ، بشعر ابيض ، وتحدث عن الشرف وصفات الرياضي الحقيقي ، وقال :

– اللعب الجميل أكثر أهمية من الفوز .

لكن كلماته لم تكن تعني شيئاً بالنسبة لي ، فتعجبت :

– ماهو الشرف . ؟ وهذه الآلعاب ستمد ذوي القوائم الثلاثة بالعبيد ، وليس هناك سبب آخر لها ، ويمكن لذوي القوائم الثلاثة بعد ذلك أن يأكلوا عبيدهم ، فنحن لم نكن نعرف ، انهم يأخذون الاف من الرجال والنساء الى مدينتهم كل عام ، لكن أحداً منهم لم يرجع حتى الأن .

ارتجف جسدي وأنا أنظر الى ست مركبات ضخمة ثلاثية القوائم ، وهي تقف حول ساحة الآلعاب ، في اليوم الأول لم تكن هناك ملاكمة ، ولذلك استطعت أن اراقب الألعاب الأخرى ، حيث كان هناك بعض المتنافسين قد أتوا الى مسابقات للركض في ثلاث مراحل ، في مسافة مائة متر ، كان هناك ١٢٠ متنافساً ، تم تقسيمهم في المرحلة الأولى الى اثنتى عشر مجموعة ، على ان يقوم كل أول صبيين من كل مجموعة بالجري مرة أخرى في المرحلة الثانية ، ويقوم افضلها بالركض في المسابقة الرئيسية في اليوم الأخير .

جاء ترتيب فريتز الثاني في مجموعته بالمرحلة الأولى ، كان ذلك في الصباح ، وبعد الظهر بدأ القفز ، وقد ادى جومبر بشكل جيد جداً في المرحلة الأولى من القفز الطويل ، فقد قفز أبعد من اي صبي آخر بمسافة نصف متر .

في صباح اليوم الثاني ، كنت مضطراً ان ألاكم صبياً نحيفاً طويلاً ، كان يتحرك بسرعة ويدافع عن نفسه بشكل جيد ، لكنه

لم يكن يهاجم بقدر كاف ، لذلك فقد ضربته أكثر مما ضربني ، ولم يكن هناك اي شك في النتيجة ، وفي وقت لاحق من نفس اليوم ، تلاكمت ثانية ، مرة أخرى ، وفزتُ بسهولة ، ثم ذهبت أنا وجومبر لمشاهدة الركض لمسافة مائتي متر ، كانت قد بدأت المسابقة السابعة من المرحلة الأولى ، فقال جومبر :

- كان على فريتز ان يركض في المسابقة السادسة ولم نلحقه ، هل النتائج على اللافتة . ؟ انني لا أستطيع رؤيتها بوضوح بدون عويناتي .

- ستعلق النتائج الأن .

قام صبيان بتسلق السلالم الى اللافتة وعلقا رقمين اثنين من العدائين في المسابقة السادسة . قال جومبر :

- ها ، ويل . ؟

فهززت رأسي قائلاً :

- لا .

فلم يقل جومبر شيئاً ولا أنا ، ولأول مرة بدأنا نشعر بالقلق ، فقد خسر فريتز واحد من فرصتيه ، وهذه قد تتكرر ، ومن الممكن ان تحدث لكل منا ، فكرت مع نفسي : «سيكون شيئاً فظيعاً لو فشلنا كلنا . !»

كنت على وشك أن أهزم في المباراة التالية ، فالصبي الآخر كان سريعاً بحركة قدميه ، وملاكماً ماهراً أيضاً ، هاجمني بسرعة . ودفعني بقوة عدة مرات في الدقائق القليلة الأولى وكان يتجنب

لكماتي ، وهذا جعلني غاضباً ، لكنني لم افقد اهتمامي . وفي الجولة الثانية ، هاجمته بضراوة ، لدرجة أنه ارتبك ، وفي لحظة فشل في حماية رأسه ، فسددت قبضتي بقوة في فكه ثم أقعته أرضاً ، فنهض بسرعة ، لكنني قضيت على شجاعته ، وفي الجولات التالية ، كان يدافع عن نفسه طول الوقت وكنت أهاجم باستمرار ، وعندما دق جرس نهاية المباراة ، كنت غير متأكد ، هل أنا الذي سددت ضربات أكثر ، أم هو . ؟ وشاهدت الحكام الثلاثة يتناقشون معاً . وبدا عليهم أنهم غير متأكدين من النتيجة أيضاً ، كنت قلقاً لدرجة أنني ارتجف ، وفي النهاية استدعونا اليهم ، ورفع رئيس الحكام ذراعي ، لقد فُزت .

كان كل من فريتز وجومبر يراقباني ، فقال جومبر :

- كنت أتصور أنك قد تخسر هذه المباراة .

كنت ارتجف ، رغم شعوري بأنني أكثر فرحاً الان ، وقلت :

- وأنا ايضاً تصورت ذلك .

قال فريتز :

- انك هاجمت متأخراً جداً .

- وانت أيضاً وصلت متأخراً جداً في مسابقة المئتي متر .

كانت هذه اجابة حمقاء مني ، لكن فريتز لم ينزعج واكتفى بالقول :

- «نعم ، هذه هي الحقيقة ، لذلك فلابد ان اجتهد اكثر من المسابقة الاخرى» ، كان هدوؤه شيئاً طيباً ، كما اتصور ، لكن ذلك

جعلني غاضباً . فقد كنت في الحقيقة حسوداً له . وكنت أتمنى ان أكون هادئاً مثل فريتز .

حدث شيئان مهمان بعد الظهر . فقد كان فريتز سعيد الحظ في المرحلة الثانية من سباق المائة متر . وفشل جومبر في القفز العالي . وقد شاهدت مسابقة فريتز . كان ترتيبه الثاني . لكن الفائز الأول كان يسبقه بعدة ياردات فقط . ولم أتصور انه قد يستطيع الفوز في المسابقة الكبرى باليوم الآخير . أما جومبر فكان يبدو حزيناً . كان في البداية يقفز جيداً لكن قدمه زلت بعد ذلك وضرب جسمه احد الأعمدة . وكانت قفزته التالية أفضل . وظلت قفزته الاخيرة جيدة هي الاخرى . لكنهما لم تكونا جيدتين بقدر كاف . قلت له :

– لم تكن محظوظاً . كنت تقفز بطريقة جميلة الى ان ضربت العمود .

كان غاضباً من نفسه لدرجة ان صوته ارتعد وقال :

– كيف قفزت بهذه الطريقة السيئة . ؟كنت دائماً أقفز أعلى من ذلك والان عندما أصبحت مهمة فعلاً ...

قلت مقاطعاً : مازال هناك القفز الطويل .

وكان فريتز محقاً عندما قال :

– انسى مامضى وركز تفكيرك فيما سيأتي . فأنت تملك فرصة اخرى .

فقال جومبر : نعم . اعتقد أنها نصيحة طيبة .

لكنه كان يبدو غير متأكد تماماً .



١٠ ـ الفائزون

جاء اليوم الآخير في الألعاب . كان شديد الحرارة في الليل . وتعلقت في سماء الساحة سحب عاصفة ، وبدا المطر مهيأً للهطول في أية لحظة .

وكانت هناك أصوات رعد بعيدة ، قال جومبر :

– لو نزل المطر سيؤجلوا الألعاب الى الغد .

ابتهلت الى الله ، راجياً الا تمطر ، كنت اشعر بقلق شديد ، ولا أقدر على الانتظار الى يوم آخر ، وعندما حاولت ان اتناول بعض طعام الافطار ، لم تكن بي شهية للأكل . وظللت اراقب السماء من باب الكوخ الى ان بدأت الالعاب آخيراً .

كان القفز مطلوباً أثناء الصباح ولم يبدأ الركض والملاكمة الا بعد الظهر ، وعندما بدأ القفز الطويل ، ذهبت أنا وفريتز لنشاهد ،

كنت قلقا على جومبر بدرجة فظيعة ، لكن ذلك ابعدني على الاقل عن همومي الخاصة ، وقفز جومبر بشكل جيد ، وكان هناك صبيان فقط من المحتمل ان يفوزا عليه وفي القفزة الأولى كان الفارق بين الثلاثة بضع بوصات ، أما في القفزة الثانية فكان جومبر متقدماً على الآخرين بشكل واضح ، رايته ينفض الرمل عن رجليه ، وقلت لنفسي : «انه سيفوز الآن» .

أخذ كل منهم دورة اضافية ، قفز الصبي الأول بسرعة ، وكانت درجته متاخرة عن الاخرين، وكان الصبي الثاني افضل منه كثيراً. فدرجته اقرب الى درجة جومبر الجيدة، بحوالي ربع بوصات ليس اكثر ظل جومبر واقفا لحظة ثم جرى مثل غزال وقفز ، ارتفعت صيحة من الجمهور ، كان واضحاً أنها أحسن قفزة في هذا اليوم ، لكن بعد ذلك ارتفعت صيحة حزينة ، عندما ارتفع علم الحكم ، فالقفزة لن تحتسب ، وفاز الصبي الآخر ، مشى جومبر وحده مبتعداً ، فتبعته وقلت له :

– «ان ذلك من سوء الطالع ياجومبر ، انك حاولت بجدية قدر إمكانك» .

كان محبطاً جداً فلم يتكلم ، وفي النهاية أجاب قائلاً :

– خطوتي الآخيرة نزلت على اللوح ، انني لم افعل هذا منذ بدأنا تدريبنا .

– انك بذلت مجهوداً كبيراً جداً ، وهذا من الممكن أن يحدث لأي شخص .

– وكنت أنا .؟

– طبعاً ، كنت أنت . !

لكن عقله كان مشوشاً ، وقال :

– أردت ان افوز ، لكنني كنت قلقاً جداً على المستقبل ، في القفز العالي خابت شجاعتي في اللحظة الأخيرة ، وفي هذه المرة ، نزلت على اللوح بلا مبالاة وعناء ، اعتقدت أنني أحاول! لكن هل كنت انا :؟ هذا كلام فارغ يا جومبر، انك حاولت بكل جدية ، وهذا هو المهم .

الا ان قلبه كان مهموماً ، فقال :

– اتركني وحدي ياويل ، لاأريد ان أتحدث حالياً .

ولم أره مرة أخرى الى مابعد الملاكمة ، التي كانت بعد الظهر مباشرة ، ومباراتي كانت الثانية في القائمة ، وكنت مضطراً لملاكمة ابن صياد سمك من شمال ألمانيا ، وكان أصغر مني ، لكن جسمه كان متيناً قوياً ، وكنت قد رايته يتلاكم في اليوم الثاني ، كنت أعرف أنه يستطيع ان يتحرك بسرعة ويضرب بقوة ، وخلال أول دقيقة لم يهاجم أي منا الآخر ، كان كل منا يترقب وينتظر اقتناص فرصته ، ثم هاجمني بلكمات يسرى ويمنى سريعة ، فتجنبت لكماته ، وأخذت دوري في الهجوم ، فتراجع على الاحبال ، ولطمته بقوة في جانب صدره ، لكنه هرب قبل أن اضربه أكثر . وحاول ان يحمي نفسه مني ، لكنني كنت قادراً على ضربه مرات عديدة ، قبل ان يدق الجرس ، معلنا انتهاء الجولة الأولى ، وقلت

لنفسي : «يمكنني ان أبدأ بداية جيدة» .

وكان ذلك صحيحاً . لكن الصبي الألماني كان ملاكماً بارعاً .

عندما بدأنا الجولة الثانية . تظاهر بأنه تعبان . فهاجمته وتراجع فتتبعته . واصبح قريبا من الحبال . فوجهت قبضتي الى فكه مباشرة . وبمجرد أنني فقط أخطأته لكني أهملت . حينئذ وقعت على مؤخرتي وكان صوت يعد :

– ۰۰ . ۳ . ٤ . ٥ . ۰۰

وقد أخبرني جومبر بعد ذلك . انني قد ضربت تحت فكي . وقد جعلتني الضربة أشب على قدميَّ . فوقعت على مؤخرتي . لم أكن أعرف ذلك . فقط كنت أعرف انني قد وقعت مغمى عليَّ من الألم . ولم أستطيع أن أتحرك .

وقد نبهني شيء ما بأنني ينبغي أن أنهض لكن ذلك بدا لي غير مستعجل . واستمر الصوت يعد ببطء ويبتعد :

– ۰۰ . ٦ . ۰۷

لقد فشلت بالطبع . لكنني على الأقل حاولت مثل جومبر . وقد تذكرت كلماته :

– أعتقد أنني كنت أحاول . لكن هل كنت أنا .. ؟ لماذا لم أحرس فكي . ؟

هل سقطت يدي عمداً . ؟ وفي هذه اللحظة . هز الخجل والريبة عقلي وأضعفاني .

– ۰۰ . ۸ . ۰۰

وبمشقة نهضت على قدميَّ ، لم اتمكن من الرؤية بطريقة صميمة ، وكانت رجلاي ترتجفان ، فهاجمني الصبي الألماني مرة أخرى ، لم أكن أستطيع التفكير ، لكن جسمي تذكر تدريبه ، فحنيت رأسي لاتفادى بعض لكماته ، ودفعت بذراعيَّ بعضها الاخر جانباً ، وقليل منها وصل اليَّ ، لكنني لم اسقط ثانية ، وأخيراً دق الجرس معلناً نهاية الجولة .

جلست على الكرس في ركني ، مقام شخص ما بغسل وجهي بماء بارد . شعرت بانتعاش وبدأ عقلي يعمل مرة اخرى ، ففكرت مع نفسي :

– إذا أرت ان افوز ، فيجب ان اسقطه ارضاً ، يجب ان أضربه بشدة ، بحيث لايقدر على النهوض مرة أخرى ، لكنني لاأملك إلاثلاث دقائق فقط ، لذلك يجب ان لا اضيع الوقت .

وكان هو يفهم ذلك ايضاً ، وقد رأى أنني أصبحت أشعر بتحسن ، لذلك لم يحاول أن يهاجم ، كان يلاكم من بعيد ، فلم أستطيع الاقتراب منه ومر الوقت بسرعة ، والساعة الخشبية الكبيرة على منضدة الحكم لن تنتظرني .

وفي النهاية أصبحت عنيفاً ، توقفت عن الدفاع وبدلاً من ذلك هاجمت بقوة قدر استطاعتي ، فشلت معظم لكماتي في إصابته ، وهزتني قبضتان منه ، لكني واصلت هجومي ، لم أكن ألاكم بطريقة لائقة الان ، بل كنت أقاتل ، فقد صممت على الفوز .. وأخيراً جاءت فرصتي ، سدد قبضته نحو فكي وأخطأه ، فرددت

بتوجيه قبضة عنيفة الى فكه ولم أخطئ ، فانثنت ركبتاه تحته وسقط ، لم يقدر على النهوض قبل أن يعد الحكم الى رقم ١٠ وكنت متأكداً من أنه يستطيع أن يعد الى ١٥ اذا أراد ، لكن الصبي الالماني لن يسمعه .

شد جومبر على يدي عندما أخبرته بالنتيجة ، ثم ذهبنا في صمت لمشاهدة بداية سباق المائة متر ، وأراد كل منا أن يخفي أفكاره المختلفة ومخاوفه ، لكن صمتنا انكسر عندما شاهدنا فريتز وصبي آخر يتقدمان ، وهللنا بفرحة طاغية عندما وصلا الى النهاية معاً ، وهتف جومبر :

فاز فريتز .

قلت : لا أعتقد ذلك ، فالصبي الاخر قد طفر عنه قليلاً .

كنا مضطرين لانتظار النتيجة عدة دقائق ، وكلانا كنا مخطئين ، فلم يكن هناك فائز بشكل صحيح ، وكان لابد من اعادة السباق مرة اخرى ، وبين هذين المتنافسين فقط .

وهذه المرة لم يخطئ فريتز ، فانطلق الى الأمام من البداية وبقيَ في المقدمة ، كان سباقاً صعباً ، لكن النتيجة كانت واضحة ، وكان الجميع يهللون معنا في النهاية ، كنت أفضل ان يرافقني جومبر في المدينة ، لكنني سررت أنه على الأقل سيذهب معي أحد الأصدقاء .

وفي هذا المساء ، خلال احتفال عام ، انفتحت السموات وصبت علينا المطر ، ولف الرعد بين التلال ومن خلال شبابيك

القاعة العالية ، رايت أضوية تومض عبر أسطح المدينة .

أكلنا طعاما رائعاً مع شراب خاص ، لم اذق مثله من قبل ، جلست الى منضدة عالية مع الفائزين الاخرين ، وقد لبست وشاح الشرف الأحمر ، الذي تسلمه كل فائز من قائد الالعاب .

في الصباح التالي ، كان هناك مطر خفيف مستمراً في السقوط وقد اجتمع الجميع من أجل الاحتفال الاخير في الالعاب ، وقد هلل الجمهور مهنئاً الفائزين ، وهم يمشون حول ساحة الالعاب وكنا مانزال نرتدي اوشحة الشرف الحمراء ، لكن الأرض كانت ناعمة بسبب المطر ، وغطت أحذيتنا طبقة رقيقة من الطين . وبينما كنت اودع جومبر ، قلت :

– سوف نلتقي بسرعة مرة اخرى في الجبال البيضاء .

كنت أتمنى ان يحدث ذلك ، لكن تمنياتي كانت ضعيفة ، نظرت المركبات الست ثلاثية القوائم ، التي مازالت واقفة حول الساحة ، كانت رابظة هناك منذ بداية الالعاب ولم تتحرك على الاطلاق .

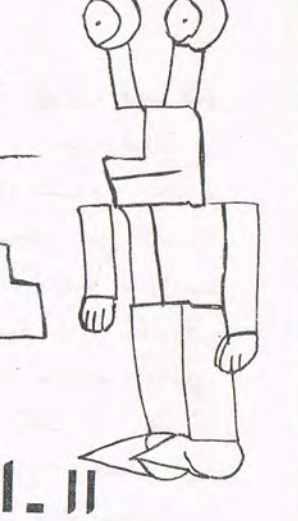
تأملت الوجوه السعيدة لرفاقي ، لقد كانوا سعداء لانهم سيذهبون لخدمة ذوي القوائم الثلاثة ، حاولت بصعوبة ان أكون سعيداً أنا ايضاً .

لكن رجليَّ كانتا ترتجفان وبذلت مجهوداً للسيطرة عليهما ، لكن بعد ذلك بدقائق كانتا ترتجفان مرة اخرى، كان هناك اكثر من ثلاثين منا قد قسموا الى ست مجموعات ، وقد رأيت فريتز بين

المجموعة الأولى ، الذين مشوا صوب أقرب مركبة ، وعندما وصلوا اليها ، هبط منها ببطء ذراع معدني طويل ، وانفتحت فجوة في جانب جسمها ، كان الذراع يرفعهم ويلف فيدخلهم الفجوة .

تذكرت فجوة المركبة ثلاثية القوائم ، التي دمرتها ، قبل مجيئي الى الجبال البيضاء . فقد رميت بيضتي المعدنية داخلها ، انفجرت البيضة ، وهربت أنا ليس معي بيضة معدنية ولا يجب أن اتقاتل .

راقبت المجموعة التالية ، ثم الثالثة والرابعة ، ثم جاء الدور علينا . فمشى زملائي اخر خطواتهم الحرة على الطمى الناعم المبتل ، وذهبت معهم .



١١ ـ الحائط من ذهب

أقلقتني عدة أشياء ، أثناء انتظار دوري في الصعود ، والشيء الرئيسي هو قلبي الذي كان يدق بعنف ، وكنت منفعلاً جداً ، فكرت مع نفسي :

ـ إذا ارتجفت ، قد يلاحظ الذراع ، ثم أكون مختلف بشكل واضح عن الصبية الاخرين وربما يقرأ أفكاري ، انه معدني ، لكنه يبدو كانه حي .

عندما جاء دوري ، حاولت أن أبعد عقلي عن التفكير في الحاضر ، وبدلاً من ذلك فكرت في حياتي الماضية : بلدتي وعائلتي ، وقضاء أوقات مابعد الظهر في الغابات والحقول ، والسباحة الهادئة في النهر مع ابن عمي جاك . والان فالذراع ترفعني خلال المطر ، وبجانبي كان الباب مفتوحاً ، انه كان يشبه فماً عظيماً

في وجه المركبة ثلاثية القوائم .

تذكرت هروبي الأول من مركبة ثلاثية القوائم ، قرب قلعة ردتاور . أصبح عقلي مظلماً بشكل مفاجيء ، حين وصلت الى باب المركبة ، فأخذتني داخلها ، كان هناك زر مثبت فيَّ ، لكن لم أعرف شيئاً ، حتى أنزلتني ثانية ، فهل سيتعطل عقلي الان . ؟

لكن ذلك لم يحدث هذه المرة ، كنا قد افترضنا أن رؤوسنا ستغطى ، وأننا لن نستطيع العودة من المدينة أبداً ، لذلك فأن ذوي القوائم الثلاثة ليسوا مضطرين لاخفاء أسرارهم ، وضعني الذراع المعدني داخل المركبة ، ثم اعتقني . كنت قادراً على أن أتلفت حولي ، كانت المركبة من الداخل باتساع ٥٠ قدماً ، لكننا كنا في غرفة صغيرة على أحد جوانبها ، وكان الحائط حول الباب مقوساً وبه نوافذ زجاجية سميكة ، أما الجدران الاخرى فكانت مستقيمة ، وكان هناك باب اخر من احد الجدران ، لكنه كان مغلقاً .

والان فقد انغلق الباب الرئيسي ذاتياً ، لقد كنا مهيئين للمغادرة . نظرت في وجوه زملائي ، كان واضحاً أنهم مبهورون بما يحمله المستقبل ، لكنهم بدوا سعداء ومثارين ، لذلك حاولت ان ابدوا كذلك أنا أيضاً .

خلال دقائق قليلة ، ساد صمت تام ولم يتكلم أحد ، ثم شعرنا أن الأرض تتحرك تحتنا ، لقد بدأت رحلتنا الى المدينة .

لم تكن رحلة مريحة ، فالمركبة كانت تلف من جانب الى اخر بينما

سيقانها الثلاثة الهائلة تسير عبر البلاد ، في البداية جعلني ذلك أشعر بالاعياء ، لكنني تعودت عليه بسرعة . من خلال النوافذ كنا نستطيع رؤية البلدة ، التي احتفلنا فيها ، وهي ترقد وراء النهر العظيم مثل وشاح داكن بين الحقول ، كنا نسير ناحية جانبها الشرقي ، وبدا كل شيئ صغيراً وبعيداً ، فكرت قائلاً :

– لابد أن الطيور تشاهد منظراً مثل هذا عندما تطير عبر البلاد ، لكن كيف ستعبر هذا النهر . ؟ هل سنبحر فيه مثل المركبة الثلاثية القوائم ، التي دارت حول سفينتنا الجوزاء . ؟

لا ، اننا مشينا فقط خلال النهر العظيم وعلى الجانب الاخر تحولنا باتجاه الجنوب ، في البداية كانت هناك بلاد ممتدة ، ثم خرابات بلا نهاية ، وقد رأيناها من قبل أنا وجومبر ، فالنهر يجري عدة أميال بين ابنية قديمة متهدمة ، كنت أستطيع أن أراها بوضوح أكثر من المركبة الثلاثية القوائم ، قلت لنفسي :

– هذه لاتشبه البلدة التي رايناها في فرنسا ، من قبل ، هناك أشجار تنمو على جانبي الطرق ، حتى خراباتها تكشف عن أثار من الجمال ، وقد يكون سكانها ، يعيشون في سعادة وسلام ، هذا المكان يبدو أكبر واقبح انها ليست بلدة من بيوت هادئة ، لكن من المحتمل ان الرجال يشتغلون فيها بجد ويصنعون أشياء عجيبة ، فهناك علامات على قوة هائلة ، واني اتعجب كيف كانت المركبات الثلاثية القوائم ، قادرة على هزيمة شعبها ! شاهد احد الصبية مدينة ذوي القوائم الثلاثة أولاً ، فصاح مشيراً الى الأمام ، وكانت قائمة خلف

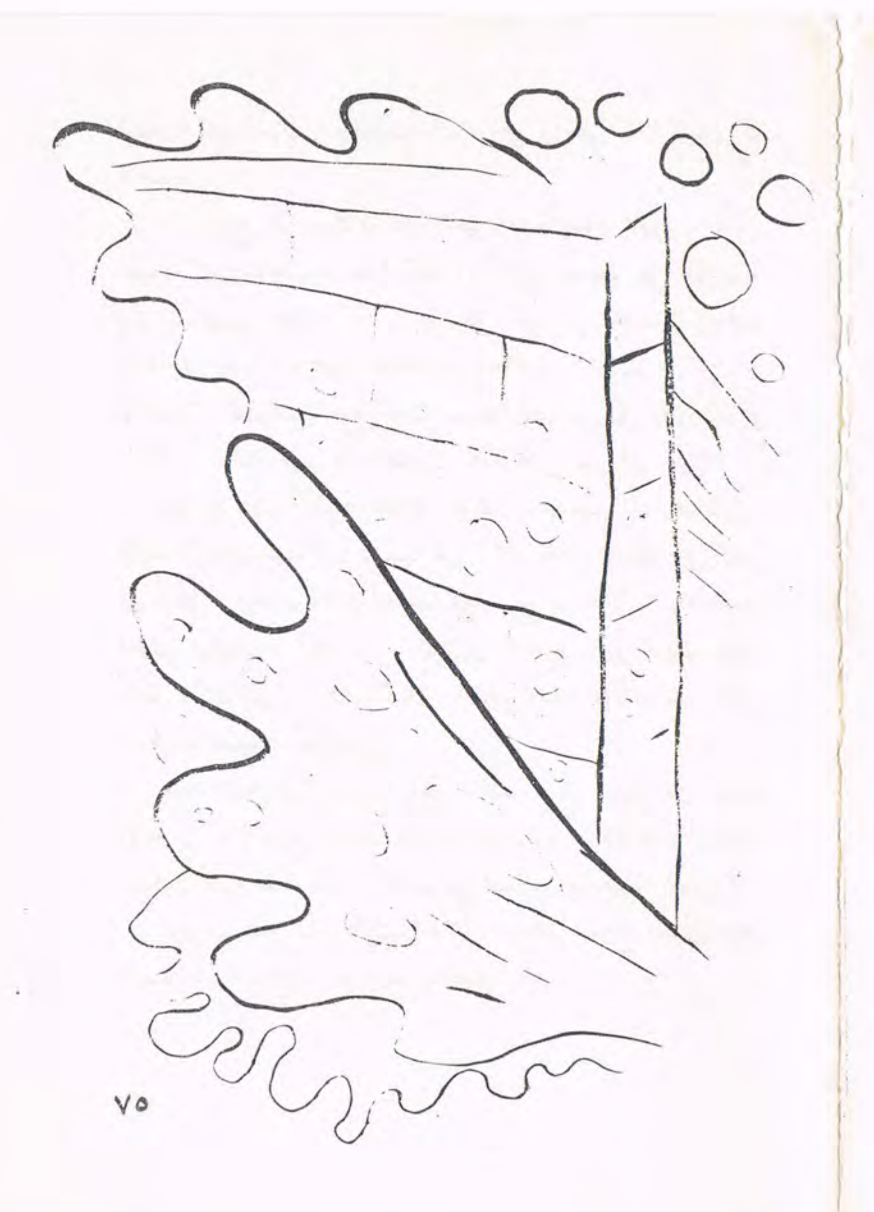
نهاية الخرابات وتلمع كحلقة من الذهب ، في مواجهة السماء الرمادية القاتمة ، وكان يغطيها كلها سطح مقوس من الزجاج الاخضر ، مثل فقاعة خضراء كبيرة . وكان جدار المدينة أعلى من المركبات ثلاثية القوائم بثلاث مرات ، وتبدو المدينة ممهدة بالكامل وبلا أبواب ولا مداخل ، وهي مستقرة على الأرض ، لكنها بطريقة غريبة ، تبدو لا تنتمي الى عالمنا ، وفي أحد المواضع كان النهر يخرج من تحت الجدار ، ويتدفق بقوة مع مليون فقاعة من الماء ، ثم يجري مبتعداً صوب النهر الأكبر وراءنا . كان الجدار يزداد علواً كلما اقتربنا منه ، قلت لنفسي :

– انه مثل حائط سجن ، مثل جدار من الخوف .

لحظة قصيرة برزت الشمس من خلال السحب ، كانت تلمع على خط الذهب الكبير للجدار ، وتومض منعكسة على السطح الزجاجي العظيم .

ثم ظهر مكان ضيق مظلم في الجدار ، واتسع ذلك المكان . لقد كان بابا ، دخلت منه المركبة الأولى وتبعتها الاخريات . وبينما المركبة التي نحن فيها تدخل المدينة ، باغتتني مفاجأة فظيعة ، اذ يبدو ان قبضة قاسية ضربت كل جزء من جسمي ، ضربتني من الأمام ومن الخلف ، ومعظمها أصابني من أعلى ، فأوقعتني وسقط معي كل زملائي ، حاولت ان أنهض ، لكن لم استطيع ، فقلت لنفسي :

– هذا شيئ غريب ، لم يضربني شيئ حقيقي ، لكن الأرض بدت كانها تجذبني الى أسفل كانت تجذبني بالضبط كما تجذب قوة غامضة



البوصلة نحو الشمال ، وشعرت بأن ذراعيّ ورجليّ كانتا ثقيلتين كما الرصاص .

لم أستطيع أن احرك ذراعاً ولاحتى إصبعاً بدون مجهود ، بذلت جهوداً كبيراً ووقفت ، فبدا وكان وزناً كبيراً يضغط على ظهري ، وليس ظهري فقط ، لكن على كل جزء من جسمي . وقف الاخرون أيضاً ، وبدون مندهشين وخائفين ، لكنهم مازالوا غير ساخطين . فعقولهم بالطبع كانت مسيطراً عليها من قبل ذوي القوائم الثلاثة . لذلك فهم لايستطيعون الاعتراض على أي شيئ .

فلو ان ذوي القوائم الثلاثة حوكوا اجسامهم الى رصاص ، فلابد ان ذلك شيئا طيبا بالنسبة لهم ، كان الثقل يضغط على كتفيّ الى أسفل ، رفعتها لكنهما انخفضا ثانية ، لمع من خلال النوافذ ضوء اخضر ضعيف ، لكن لم أر شيئاً في الخارج ، مر الوقت ونحن ننتظر ، كان شيئ ساكناً ، ثقيلاً ، اخضر اردت ان أتحدث ، لكني تذكرت نصيحة جوليوس :

— «عندما تصل الى المدينة ، راقب وانتظر ، كن نسخة من الصبية الاخرين ، لاتطرح أسئلة وفكر بعناية مركزة ، فالاعمال الطائشة ستكون أسوأ غلطة لك ، فانهم من الممكن ان يكونوا خطرين» .

اخيراً ، فتح الباب الرئيس ذاتيا ، ودخل الذراع المعدني فرفع احدنا الى الخارج ، ثم رجع واخذني .



١٢ ـ اجسام من رصاص

وجدت نفسي في ردهة واسعة ، وقد اصطف طابور من المركبات ثلاثية القوائم إزاء أحد الجدران ، وكان زملائي يخرجون منها ، رأيت فريتز ، لكني لم أتحدث اليه ، ولم يتفق ان تحدثنا فيما بعد ، ان ذلك سيكون أكثر أماناً ، عندما خرج الجميع من المركبات ، تحدث صوت ، كان يشبه الصوت الالي ، الذي ينبعث من ماكنة وليس من شخص ، كان يتحدث بالمانية ، فقال :

— «ايها الصبية ، لقد فزتم بشرف عظيم ، بأن تم اختياركم لخدمة الاسياد ، وسوف تكونون عبيداً لهم ، اذهبوا الى حيث يلمع الضوء الازرق ، فسيقودكم الى عبيد سابقين ، سيشرحون لكم واجباتكم ، ثم بعد ذلك ستقابلون اسيادكم ، لكن الان اتبعوا الضوء الأزرق» .

ظهر الضوء بينما كان الصوت يتكلم ، كان فوق باب صغيرة ، خلف المركبة التي كنت فيها ، مشينا اليه بضعف ، كان الثقل لايزال يضغط علينا الى أسفل ، وكانت ارجلنا الثقيلة لاتتحرك بشكل سليم ، كان الهواء حاراً ورطباً ، كما يحدث غالباً قبل رعد الصيف .

نحن الان في غرفة صغيرة ، اغلق الباب وراءنا ، أصبح الثقل على جسدي أكبر وبشكل مفاجئ ، وأصبحت رجلاي أثقل من قبل ، شعرت باعياء بدرجة قاسية ، واستمر ذلك لعدة ثوان ، ثم توقف .

فتح نفس الباب ، لكننا خرجنا الى قاعة مختلفة . كانت أصغر كثيراً ، وبها مقاعد طويلة منخفضة بجانب الجداران ، وهناك عدد من الشيوخ ، يرتدون سراويل قصيرة فقط ، ويبدو أنهم مرضى بشكل فظيع ، لكن هل كانوا شيوخاً كما يبدو عليهم . ؟كانوا يمشون مثل الشيوخ ، ويوضح جلدهم اثار التقدم في العمر ، لكنني لم أكن متأكداً . اتى اليَّ احدهم وقادني الى كومة صغيرة من الاشياء وقال : هذه حاجياتك .

كانت توجد بها بعض السراويل القصيرة وبعض الأحذية وشيئ اخر لم أفهمه ، ففسره لي بصوت متعب :

– هذا قناعك ، البسه ، انك يجب ان ترتديه دائماً عندما تتنفس هواء الاسياد ، في بيت سيدك سيكون لك غرفة ، تأكل وتنام فيها ، ولن تحتاج الى القناع في فتك ، لكنك يجب ان ترتديه في أي مكان اخر ، هواء الاسياد قوي جداً على العبيد فإذا تنفسناه بدون

قناع فأننا نموت . كان القناع مثل الزجاج ، استطيع ان أرى من خلاله . لكنه كان اخف وأنعم من الزجاج ، وقد ناسب رأسي بشكل مريح واستقر على كتفيَّ . وكانت هناك احزمة تربط بشدة الى زنار يلتف على صدري .

قام الشيخ بشد الاحزمةعليَّ ، ثم سألت سؤالاً غبياً :

– من يكون سيدي . ؟

فنظر اليَّ باستغراب وأجاب : سيدك سيختارك .

تذكرت انني يجب الا أطرح أسئلة ، لكنني اضطررت ان أطرح سؤالاً اخر ، فقلت :

–كم من الوقت مر عليك في المدينة . ؟

– سنتان .

– لكنك تبدو ..

للحظة ، أثار ملاحظاتي ذكريات ، جعلت صوته المتعب يبتهج ، وقال بفخر :

– فزت في سباق الالف متر في الالعاب وكان عمري بالضبط ١٤ سنة فقط ، كنت اصغر شخص يفوز فيها .

تأملت جسمه المتعب النحيل ، كان الجسم لرجل عجوز مريض ، لكنه كان يصغرني بعامين ، قال لي :

– ارم ملابسك على هذه الكومة والبس السروال القصير .

وكانت الذكريات قد اختفت وأصبح صوته متعباً مرة أخرى .

خلعت وشاحي الأحمر وسألته :

– ماذا سأفعل بهذا . ؟
– ضعه مع بقية ملابسك . فلن تحتاج اليه في المدينة . خرجنا كلنا الى الغرفة الصغيرة . واغلق الباب وراءنا ، ثم بدت ريح قوية تندفع بداخلها . استطعت ان أسمعها واشعر بها أيضاً ، وبطريقة غريبة كان الهواء قد تغير . فهواؤنا العادي كان يطرد ويدخل بدلاً منه هواء الاسياد .

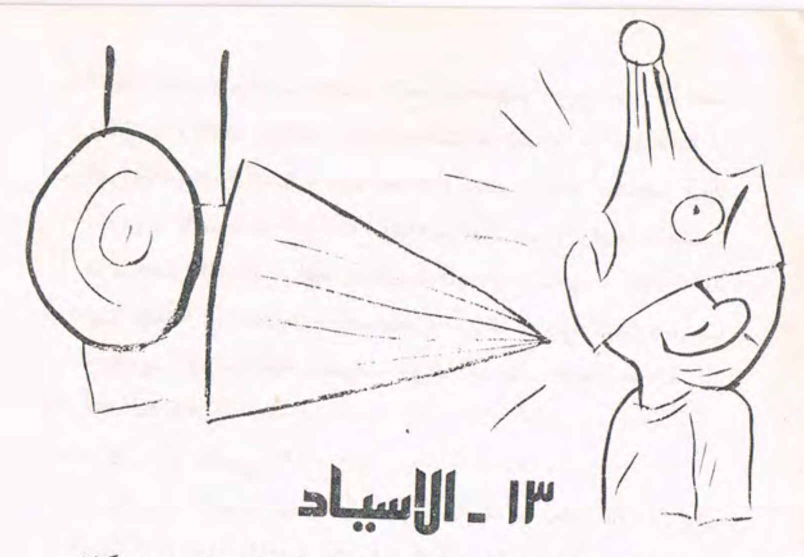
بعد عدة دقائق توقفت الريح ، وفتح باب اخر ، فخرجنا منه . ضربتني الحرارة بالخارج وكانها لكمة ،فالهواء كان حاراً جداً بالنسبة للتنفس . شعرت بضعف وجذبني الثقل الى أسفل ، فانثنت ركبتاي ،وسقط أحد زملائي ، ثم أخر ، وأخر .

كان اثنان منهم قادرين على النهوض ثانية ، ولم يتحرك الثالث فأردت أن اساعده . لكني لم أجرؤ .

اخذت اتعود على هذا الهواء الجديد ببطء . وأخيراً كنت قادرا على ان أتطلع للأمام . وادهشني المنظر . كانت المدينة ممتدة أمامنا . ولايوجد واحد من طرقها مستقيماً ، وقليل منها كان منبسطاً ، كانت تعلو وتخفض وتلتوي مبتعدة في العمق . لكن الهواء كان كثيفا وأخضر ، لدرجة انني لم أستطيع رؤية أي شيئ بوضوح ، كانت البنايات مختلفة الأشكال والاحجام ، لكنها جميعا هرمية الشكل . بحيث تلتقي كل جدران البناية في القمة ، ولا تكون هناك اسقف على الاطلاق . كانت هناك مركبات غريبة تتحرك على طول الطرق ، وهذه كانت شبيهة تماماً بأهرامات صغيرة ، وكانت

مصنوعة من مادة خام صافية ، مثل اقنعتنا واستطعت ان أرى اشكالاً بداخلها ، وكانت هناك اشكال اخرى تتحرك تقريباً ، بعضها كان صغيراً ويتحرك ببطء ، لابد انهم عبيد ، وبعضها كان ضخماً ويتحرك بسرعة ، لابد أنهم اسياد ، لكنهم كانوا بعيدون جداً عن الرؤية بوضوح ، اشار عبد قديم الى اقرب هرم ضخم وقال :
– سيختاركم اسيادكم هنا ، هيا ننزل .
نزلنا ببطء الى ممر للطريق السفلي ، وبألم ومجهود كبير ، نتعلم ان نستخدم ارجلنا الثقيلة ، وكان الصبي الذي وقع على الارض ، وقد شعر بتحسن ، وكان هو الولد الذي غلب جومبر في القفز الطويل ، فكرت قائلاً :
– انه لن يستطيع ان يقفز بعيداً في هذا الهواء الثقيل . ! كانت هناك صالة ضيقة طويلة في الهرم وعلى طول جانب من هذه الصالة ، يوجد صف من غرف صغيرة ، وكل الغرف كانت لها واجهات مفتوحة ، اخذ كل منا واحدة منفصلة ، وقال العبد العجوز :
– انتظروا هنا حتى يأتي الاسياد .
انتظرنا وقتاً طويلاً ، وربما لم يقلق الصبية المتوجون ، فلم يكن بهم خوف ، أما أنا فقدكنت غيرمرتاح أبداً ، جلست على الأرض ، حتى اريح رجليَّ ، كان هناك حر شديد داخل قناعي وكنت عطشانا بدرجة فظيعة ، لكن لا أملك شيئاً أشربه . فكرت مع نفسي :

– ربما يكونوا قد نسونا ، اذا بقينا هنا فقد نموت من العطش ، لكنني لو وجدت بعض الماء ، فلن استطيع ان اشربه ، اذ انني سأكون مضطراً لخلع القناع وحينئذ سيقتلني الهواء اخيراً سمعت صوتاً .. صرخة دهشة ضعيفة من نهاية الصالة . وتكررت الصرخة من الغرف الصغيرة الاخرى ، قربت رأسي من ركن غرفتي ونظرت ، كانت أشكال غريبة قد دخلت الصالة وتحركت صوبنا ، لقد اتى الاسياد .



١٣ - الاسياد

نسيت مخاوفي لحظة وكنت على وشك ان اضحك ، فقد كان الاسياد في هيئة عجيبة . ! كانوا أطول من الانسان بمرتبتين ، وكانت أجسامهم أكثر اتساعاً من تحت باربع مرات عنها في قمتها ، ولم يكن هناك اي اثر لوجود رقبة بين الرأس وبقية الجسم ، الذي يقف على ثلاث ارجل سمينة بدلاً من اثنتين ، وكانت لهم ثلاثة اذرع مثل مركباتهم ثلاثية القوائم ، لكن اذرعهم هذه لم تكن معدنية ، وذكرتني باذرع الاخطبوط . يمسك طعامه باذرعه ، فماذا يأكل هؤلاء السادة البشعون ، اتمنى الا يكون طعامهم الصبية .

ثم لاحظت عيونهم ، وايضاً كانت لهم ثلاث عيون ، وتقع العين الثالثة فوق العينين الاخرين ، في منتصف الرأس . وكان جلدهم بلون اخضر ، لكن ليسوا كلهم بنفس الدرجة ، فبعضهم

اخضر قاتم وبعضهم اخضر فاتح وبعضهم مزيج من الاخضر والبني ، وكانت الوانهم واوزانهم المتنوعة تشكل الاختلافات او الفروق الوحيدة بينهم ، وفيما بعد ، اكتشفت وأنا أخدمهم فروقاً اخرى ، فالفتحات التي تمثل أفواههم وأذانهم وأنوفهم ، ليست دائماً بنفس الشكل ، فقد يختلف شكلها أو موضعها ، وكان الجلد بينها مجعداً في خطوط ، استطعت تمييزها ، وفي البداية رأيت وجوههم غير متناسبة وشعرت بخوف جديد ، عندما تحدث الى أحدهم قائلاً :

– قف أيها الصبي .؟

كانت الكلمات تبدو كأنها تخرج من فمه ، لكنه كان لا يزال مغلقاً ، أو لعل ذلك لم يكن فمه .؟ فقط فتحتي الأنف فوقه كانتا مفتوحتين .

فكرت قائلاً لنفسي :

– انهم بهذا لا يتنفسون من افواههم فقط .

وقفت ، فامتد ذراع نحوي ولمسني برقة في البداية ، ثم لمس ذراعي بقوة أكثر ومر على جلدي مثل أفعى ، فقد كان يعطي احساساً باللمس الناعم الجاف كما تفعل الأفعى ، وانني تقريباً ارتجفت ، فقال :

– اقترب ، أحسن أيها الصبي .؟

كان الصوت فاتراً ومسطحاً ، ليس عالياً ، لكنه واضح جداً ، بدأت أمشي وأدور في غرفتي الصغيرة ، وتذكرت السوق في مدينة

وينشستر حيث شاهدت ذات مرة ، رجلاً يبيع الخيول ، فقد لمس الناس أجسام الخيول وراقبوها وهي تتحرك حول الساحة .

وقف السيد وراقبني لحظات قليلة ، ثم تركني دون كلمة أخرى فتوقفت ثم جلست ثانية . اجتاز الصالة عدد من الاسياد ، كانوا يتنقلون سريعاً بأرجلهم السمينة القصيرة ، ومن الواضح انهم لا يشعرون بالوزن الثقيل مثلما نشعر باجسامنا . فعندما كانوا يريدون الوصول سريعاً الى مكان ما ، كان بأستطاعتهم الجري كذلك ، لكنه لم يكن جرياً عادياً ، فقدكانت أرجلهم الثلاثة تتحرك بطريقة دائرية وكانت اجسامهم تدور اثناء سيرهم ، اتى سيد اخر ونظر اليَّ ، ثم سيد أخر ، لكنهما ذهبا وقد اختير الصبي الموجود في الغرفة المجاورة ، فأقتاده أحد الأسياد مبتعداً ، وآتى المزيد من الأسياد ، اختبرني بعضهم بشكل دقيق ، ولم يرغب احدهم في ان يأخذني ، قلت لنفسي :

– يبدوا أن شكوكاً تساورهم عني ، ربما انني لا اتصرف كالصبية الاخرين ، ماذا سيحدث لو لم يختارني احد .؟ انهم لم يخرجوني من المدينة ، أعلم ذلك .

في الحقيقة ، كان الصبية الذين لم يختارهم احد ، مرصودين لواجبات عامة ، لكنني لم اكتشف ذلك الا فيما بعد ، والآن عرفت فقط ان معظم الصبية تم اختيارهم ، وقد رأيت فريتز ينطلق مع سيده ، وهو ايضاً شاهدني ، لكنه لم يعط اية أشارة . جلست على الأرض وشعرت باكتأب شديد ، كنت متعباً وعطشاناً ، وقد ألمتني

رجلاي ، وكانت احزمة القناع مشدودة بطريقة غير مريحة الى صدري وكتفيَّ ، أسندت ظهري الى الحائط وأغمضت عينيَّ ، لذلك لم أرى السيد القادم ، عندما وصل ، وفقط سمعت صوته يأمرني :

– انتبه ايها الصبي .

كان يبدو صوتاً الطف من الاخرين ، وفيه شيءٌ من الدفء . تيقظت اليه بمشقة ونظرت اليه بانتباه ، كان أقصر من معظم اقرانه . وأيضاً كان جلده قاتماً أكثر . راقبني بأستغراب وانا اتمشى في غرفتي . ثم قال :

– قف . اقترب مني .

وبينما كنت اتجه اليه . التف ذراعه حول ذراعي الأيسر وبدأذراع أخر يلمس جسدي بلطف . ويتحسس رجليَّ . ثم التف باحكام حول صدري . فلم أستطع أن اتنفس . أن الأخطبوط الكبير يستطيع أن يقتل طفلاً بهذه الطريقة فهل هذا ينوي قتلي .؟

اخيراً . اعتقني من ذراعه وقال الصوت : «انت صبيٌ غريب .؟» أكدت كلماته المخاوف المسيطرة عليَّ . لقد كنت مختلفاً عن الصبية الأخرين . لكن كيف .؟ هل كنت مثاراً اكثر منهم .؟ هل كنت سعيداً اكثر منهم . بسبب اضطراري أن اخدم شيئاً قبيحاً مثل هذا نفسه .؟ لقد حاولت بصعوبة أن ابدو سعيداً . ثم تكلم مرة أخرى :

– كيف فزتُ في الألعاب .؟ ماهي رياضتك .؟

أجبت : الملاكمة .

ثم أضفت قائلاً : ياسيدي .

– أنك صغير لكنك تبدو قوياً ، فمن أي جزء من الأرض جئتُ .؟

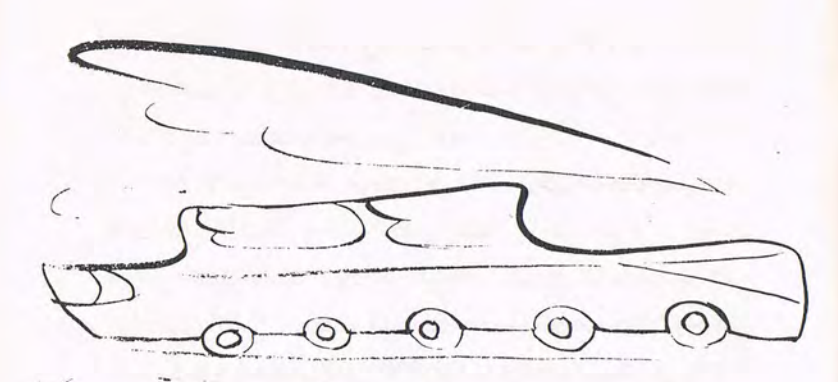
– من الجنوب ياسيدي . من تايرول .

– أرض جبلية . والاولاد الذين يأتون من الجبال يكونون اقوياء دائماً .

راقبني بعيون ثلاثة لحضة في صمت . واخيراً قال :

– اتبعني ايها الصبي .

اذن فقد وجدت سيدي .



١٤ ـ بيتي في المدينة

كنت محظوظاً ، فقد وجدته سيداً طيباً ، اقتادني الى مركبته ، خارج البناية ، ركبناها وقادها مبتعداً ، كانت تجري على عدد من العجلات الصغيرة ، التي كانت تحت الأرض ، وقد أوضح قائلاً :

– ستكون قيادة المركبة ، واحدة من واجباتك ، انها ليست صعبة ، نحن لانستخدم الخيول هنا ، فالمركبة تتحرك بواسطة طاقة تأتي من باطن الارض ، وهي سهلة التوجيه وليس بها خطر .

شاهدت تواً بعض الاسياد ، يعلمون عبيدهم الجدد على القيادة ، لكن سيدي لاحظ أنني كنت متعباً ، لذلك لم يزعجني ، وقادها الى المكان الذي يعيش فيه ، وكان قريبا من مركز المدينة . في الطريق رأيت حولي مجموعات مختلفة من الابنية ، لكن لايبدو شيئ منها مرسوماً بشكل خاص ، هنا او هناك ، ورأيت حدائق صغيرة ،

توجد بها أحواض مائية ، ونباتات غريبة متنوعة الألوان : أحمر ، بني ، أخضر ، أزرق ، كانت تنمو في هذه الاحواض ، وفي بعض الاماكن ، تصاعد البخار من الماء .

كان الاسياد أحياناً يخوضون في الماء ، وكانوا أحياناً يقفون فيه فقط مثل الأشجار ، كان سيدي يعيش في هرم طويل ، بجانب حوض حديقة واسعة ، وداخل البناية ، دلفنا الى غرفة صغيرة تنتقل الى أعلى وأسفل ، وكنت قبل ذلك قد مررت بغرفة مثلا وجعلتني أشعر بإعياء شديد ، لكن الان فهمتها ولذلك سببت لي إزعاجاً أقل ، ثم خرجنا الى ممر ، تبعت سيدي خلاله ، ووصلنا الى باب منزله ، كان الاسياد الاكثر أهمية ، يعيشون في قمم الاهرامات ، ولم يكن سيدي مهما الى هذه الدرجة ، فقد كان منزله قريباً من القاع .

ضغط زراً فانفتح الباب ، انه لم ينفتح الى الداخل او الخارج ، لكنه انزلق بنعومة الى جانب واحد ، ثم انغلق تلقائياً وراءنا .

كنا في غرفة واسعة بارتفاع حوالي ٢٠ قدماً ، كانت هي غرفة معيشة سيدي ، فهنا يستريح ويتناول وجباته ، وفي وسط الارضية ، كان هناك حوض ، يشبه أحواض الحدائق ، وكان البخار يتصاعد من مائه ، كان هذا مكانه المفضل ، عندما يرغب في ان يستريح .

وكانت هناك أبواب تؤدي الى غرفة أخرى ، لكنه لم يفرجني عليها بعد .

قال لي : «انت تعبان وسوف اخذك الى غرفتك .»

كانت كل غرفة الاسياد ، تقع في الجزء الخارجي من الاهرامات ، لذلك كانت لهم نوافذ بها شرفة ، أما غرف خدمهم ، فكانت في الداخل ، عبر الممر ، أراني سيدي باب غرفتي وقال :

– هذا هو مأواك أيها الصبي ، خلف هذا الباب توجد غرفة صغيرة ، حيث يتبدل الهواء ، وهناك باب ثان يؤدي بك الى غرفتك الخاصة ، حيث تستطيع ان تتنفس بدون قناع ، انك الان ستأكل وتنام ، ويمكنك ان تبقى هناك ، عندما لا أحتاج اليك ، ويمكن ان تبقى في مأوى الخدم العام أسفل البناية .

امتد واحد من اذرعته وأمسك ذراعي لحظة ، ثم اضاف :

– يمكنك ان تستريح الان ، وفيما بعد سيدق جرس ، حينئذ يجب ان تثبت قناعك مرة اخرى وتأتي اليَّ ، فسوف أكون في حوضي .

استدار وعبر الممر الى بابه ، ضغطت الزر الخاص ببابي ، فانفتح ، ثم اغلق تلقائياً خلفي ، شعرت بهواء ابرد يهب حول كاحليَّ . كان الهواء العذب يدخل ويطرد هواء الاسياد .

أخيراً فتح باب اخر ، في الجانب المقابل ، فدخلت منه وخلعت قناعي . كنت مسروراً بتنفسي الهواء العذب من جديد ، كانت الحرارة في قناعي ، تبدو كافية تقريباً لقتلي ، لكنني فيما بعد علمت أنني كنت محظوظاً ، فقد اضطر فريتز ان يعمل لعدة ساعات قبل ان يتركه سيده ليستريح . وقد تجلت أفكار سيدي الرحيمة بطرق متعددة ، فمثلاً ، كانت كل غرف الخدم ارضيتها ضعيقة وجدرانها عالية ، فبنى سيدي غرفة نوم في الأعلى ، حيث كنت أصل اليها

بواسطة سلم ، وبذلك كنت أملك غرفتين ، بينما لدى كل واحد من الخدم الاخرين غرفة واحدة ، وكانت غرفتي مزودة بكل ماأحتاج اليه ، فاغتسلت وغيرت سروالي القصير ، ثم وجدت بعض الطعام في خزانة : نوع من الخبز الحلو الجاف ، وشيئ اخر لابد ان يمزج بماء دافئ ، وأي منهما لم يكن طيب المذاق ، وقد صنعا الياً في مكان ما بالمدينة . حاولت ان آكل قليلاً من الخبز ، لكنني لم اكن جائعاً بقدر كاف لكي آكله . وبدلاً من ذلك جررت رجليَّ الثقيلتين ، وصعدت السلم الى غرفة نومي ، كان السرير صلبا وبلا اغطية ، لكنه كان سريراً ، وبالطبع لم تكن هناك نوافذ في مأواي . كان يوجد فقط ضوء أخضر ناعم ، ضغطت زراً ، فانطفأ الضوء ، ثم نمت في الظلام . بعد ذلك بلحظة ، كنت نائماً ، وحلمت بأنني رجعت الى الجبال البيضاء ، وأنني أبلغت جوليوس ان المركبات الثلاثية القوائم مصنوعة من ورق وليست معدنية . ويستطيع الانسان ان يخلع ارجلها بفأس ، وكنت مازلت أبلغه بذلك ، عندما دق الجرس ، فاستيقظت بشكل مفاجئ في الظلام ، واستغربت :

– أين انا . ؟

ثم تذكرت أنني صرت عبداً وأنني كنت في مأواي وأن سيدي يطلبني .



١٥ ـ لعبة الكرة

كنت انا وفريتز راغبين في ان نلتقي باسرع ما يمكننا. ولم تكن لدينا خطط لذلك ، كنا فقط ننتظر فرصتنا . لكن متى ستأتي . ؟ قلت لنفسي :

– ان هذه المدينة كبيرة لدرجة أننا قد لا نلتقي أبداً . فلابد ان هناك عدة الاف من الاسياد ، واظن أنهم جميعاً يملكون خدماً . وهناك خدم عموميين ايضاً . فكيف استطيع ان اعثر على فريتز بين كل هؤلاء . ؟

كنت مخطئاً بالنسبة لشيئ واحد : الاسياد المهمون فقط . الذين يعيشون في مركز المدينة . بإمكانهم امتلاك خدم . وبعضهم يفضل ان يكون بلا خدم . انهم لايحبون ان يكون لهم عبيد في المدينة على الاطلاق . ويقولون :

– اذا اعتّمدنا على العبيد فإن سلالتنا ستنمو ضعيفة ، وينبغي الا نعتمد على أحد غيرنا .

لذلك كان لايوجد الا حوالي ٥٠٠ عبد فقط وهم الذين تم اختيارهم بطرق عديدة من دول مختلفة ولم يكونوا كلهم من الفائزين في الالعاب ، لكن حتى هؤلاء العبيد الخمسمائة ، كان لقاؤهم غير محتمل . مالم يعيشوا في نفس الهرم ، وكان سيدي يستطيع استدعائي من المأوى العام في بنايتنا ، فاذا دق جرسه ، يومض رقمه في صندوق على حائط المأوى ، وحينئذ أكون مضطراً للصعود بسرعة ، لذلك لم أتجاسر على الذهاب الى الخارج ، فقد يطلبني عندما ابتعد ، ويعتبر ذلك خطيراً ، فليس هناك عبد متوج يقصر في اطاعة جرس سيده .

قد نلتقي أنا وفريتز في الشارع ، إذا أرسلنا سيدانا للخارج برسائل ، لكن لم يكن ذلك محتملاً ايضاً ، وكانت هناك فرصة حقيقية واحدة . فاحياناً يجتمع الاسياد في بناية عامة ، من أجل الشغل او اللهو . وفي هذه البنايات يوجد دائماً مأوى لعبيدهم . كان مكان سيدي المفضل في بناية بها حوض كبير ، وكان معتاداً هو واصدقاؤه ان يتمددوا في هذا الحوض ، ويستمعوا الى ماكينة تصدر أصواتاً هادرة . أظن أنها كانت موسيقى في اذانهم ، بالنسبة لي كانت ضوضاء مزعجة ، وبالمثل كانت لغتهم غريبة ، وذكرتني بأصوات الحيوانات المختلفة في مزرعة عمي ، وكثيراً ماكنا نذهب الى ذلك المكان المفضل . وانتظر انا في المأوى ، لكن فريتز لم يأت

أبداً . فقد كانت هناك أماكن عامة اخرى ومن اجل استخدامات اخرى . كان من الواضح ان سيدي وسيد فريتز . يستمتعان باشياء مختلفة . فبدأت افقد الامل . لكن كان هناك شيئ واحد . يستمتع به كل الأسياد تقريباً . وهو لعبة الكرة . وكانت تجري مرة كل شهر . على ساحة خاصة في ارض حمراء صلبة . وكانت الساحة ثلاثية الجوانب . وبها أيضاً سبعة أعمدة طويلة بارتفاع حوالي ٣٠ قدماً . واحد من هذه الاعمدة في كل ركن . وواحد في منتصف كل جانب وواحد في مركز الساحة . وفي قمة كل عمود سلة كبيرة . وكان يشاهد اللعبة الفان أو ثلاثة الاف من الاسياد . وهم جالسون في مقاعدهم حول الساحة . صاحبت سيدي الى مقعده . ثم رجعت صوب مأوانا . لكن قبل ان أصل اليه . بدات لعبة الكرة . كانت هناك دستة من المركبات ذات القوائم الثلاثة الصغار . بارتفاع حوالي ٢٠ قدماً . قد بدات تجرى في الساحة . وبدا ان بعضها يجري وراء الاخرين . وكانت جميعاً تحرك اذرعها بعنف . وبشكل مفاجئ طارت من احدهما كرة كبيرة من الذهب في الهواء . فالتقطتها مركبة اخرى . وهلل الاسياد بشكل مثير وفي صوت عال غريب . وبسرعة كانت تتطاير عدة كرات ذهبية من لاعب الى اخر . وكانت الاذرع تلتوي وتمتد في كل جانب . ثم سقطت كرة في سلة على أحد الاطراف . وصاحب ذلك اشتعال نور مع ضوضاء رعدية وهلل الاسياد جميعاً بصوت مرتفع . ورجع فكري الى اليوم الذي وصلت فيه أنا وأصدقائي الى الجبال البيضاء .

فقد مرت بالقرب منا مركبتان ، لكنهما لم تلحظانا والان عرفت السبب أخيراً ، لقد كانت تتدربان على لعبة الكرة ، لذلك كانتا مشغولتان تماماً عن روء يتنا .

غادرت الساحة ودخلت المأوى وكان هناك فريتز ، فشاهدني وأومأ اليّ ، ثم احضر كوبين من الماء وجلسنا في ركن .

كنت مسروراً برئيته ، لكنني حزنت جداً بأن رأيته يبدو مريضاً بشكل فظيع ، فالحرارة والوزن الثقيل في أرجلنا ، جعلا كلا منا يشعر بالضعف ، وقد كان بعض العبيد ، يبدون مثل الشيوخ ، بعد عام واحد ، وفقد جسمي قوته ، لكن فريتز قد تغير أكثر من أي شخص اخر ، لقد كان صبياً طويلاً قوياً ، والان تقوس جسمه النحيف الضعيف ، مثل العبيد القدمى ، وغير ذلك شاهدت شيئاً اخر متكرراً أكثر من اللازم ، مما جعلني أغضب ، فقد كانت هناك علامات طويلة حمراء على كل ظهره ، وكنت أعلم ان العبيد الاغبياء أو المهملين ، قد يضربون ، لكن فريتز لم يكن غبياً ولامهملاً .

قدم لي كوبي وقال بصوت منخفض :

– يجب ان نضع بعض الخطط بسرعة ، اين نستطيع ان نلتقي في المستقبل . ؟ انني في الهرم رقم ٤٣ ، اذا كان سيدك ليناً ، فقابلني هناك .»

– اين هو . ؟ انني مازلت لا أستطيع أن أعرف طريقي في هذه المدينة .

– انه قريب من ال .. لا ، اخبرني اين تعيش . ؟

– في الهرم رقم١٥

– وجدتها ، اسمع ، سيدي يذهب الى حوض الحديقة كل يوم تقريباً ، ان يذهب عند الظهر ، ويبقى هناك لمدة ساعتين ، وهذا يمنحني وقتاً كافياً لزيارة مأواك العام ، فهل تستطيع مقابلتي هناك . ؟

– نعم ، بكل سهولة .

– سأتظاهر بأنه سيدي يزور شخصاً ما في هرمك .

أومات برأسي ، ان زيارة مثل هذه لن تكون شاذة ، فسيدي يذهب غالباً الى حوض عام في هذا الوقت ، وإذا لم يفعل ، استطيع ان ابقى تحت في مأوانا ، لان ذلك الوقت من النهار لايكون مشغولاً بشيئ .

ثم سألت فريتز : هل سيدك سيئ جداً . ؟

فأومأ برأسه قائلاً :

– سيئ بما فيه الكفاية ، انه يستمتع بان يضربني بالسوط .

– يستمتع بذلك . ؟

– نعم ، لقد ظننت في البداية ، انني ارتكبت أخطاء ، لكن الامر لم يكن هكذا انه يجب اعذاراً لكي يستخدم السوط ، انني اصرخ متألماً بصوت عال ، وهذا يسعده ، لقد تعلمت ان أصرخ بصوت مرتفع كثيراً ، حينئذ لايظربني بقسوة هكذا .

ثم نظر اِليَّ وسألني :

– الا يضربك سيدك . ؟ لاتوجد أثار على ظهرك .

– سيدي طيب .

قلت ذلك واخبرت فريتز عن سيدي ، فاستمع إِليَّ ثم هز رأسه قائلاً :

– أعتقد أنه طيب جداً .

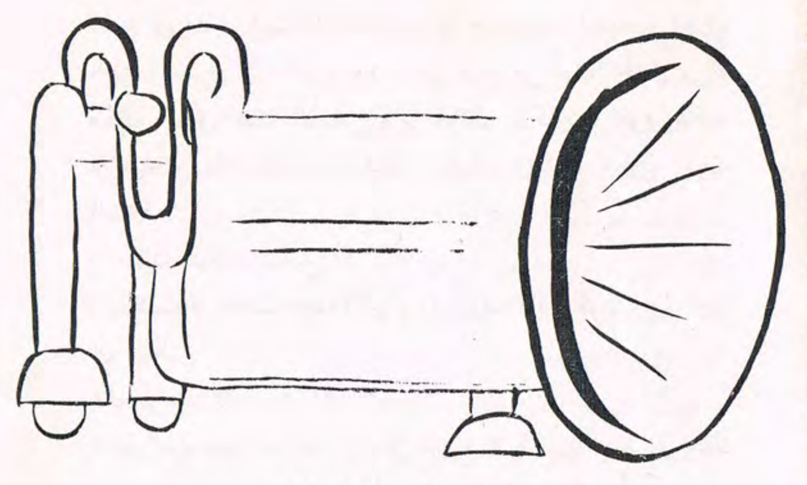
وابلغني بأشياء اخرى عن حياته ، ثم سألني :

– ماذا اكتشف عن المدينة . ؟ اننا يجب ان نتقاسم اسرارنا ياويل فإذا هرب واحد منا ، لابد ان يعرف الكثير قدر الممكن .

شعرت بالخجل وقلت :

اني تقريباً لم اكتشف شيئاً لكنني اخبرته بكل ما استطعت معرفته ، فاستمع الى بانتباه ، ثم قال :

– كل شيئ صغير يساعد ، لكني اكتشفت الكثير ، اقترب مني وسوف اخبرك .



١٦ ـ اسرار فريتز

قال فريتز بصوت منخفض :

– انني وجدت الماكينة العظيمة التي يستخرج الأسياد منها الحرارة والضوء . انها تمدهم بالطاقة التي تسيّر المركبات . وتتحكم في هواء الأسياد . وتسبب الوزن الثقيل في اجسامنا . على الأقل هي تفعل ذلك كما أتصور .

ثم تلتف حوله في حذر وأضاف قائلاً :

– الممر ٩١٤ يتفرع من الشارع ١٣ ويمر بين حوضي حديقة . ثم ينزل في الأرض . والماكينة في مكان ما تحت . انني للآن لم أقدر على رؤيتها . وربما العبيد غير مسموح لهم بالنزول الى هناك . لكني سأحاول ..

..ووجدت أيضا المكان الذي يخرج منه ماء المدينة ، انه في الطرف الشرقي من شارع ٢٥ . نهر يخرج من تحت الجدار ، انه مكان عميق تحت الأرض ويمر خلال ماكينة ، تقوم بتنقيته للأسياد ، وقد رأيت الماكينة ، وأيضاً وجدت مكان الموت السعيد .

- مكان الموت السعيد . ؟

كنت قد سمعت هذا الاسم ، ولم أعرف ماذا يكون ، ولم أجرؤ ان أسأل .

قال فريتز :

انه ليس بعيداً من هنا ، انه في شارع ٤ يذهب العبيد الى هناك عندما يضعفون عن خدمة أسيادهم ، وقد تتبعت أحدهم الى الداخل ورأيته يموت .

- رأيته يموت . ! كيف حدث هذا ؟

وقف بموضع خاص ، على لوح معدني ، ولمع ضوء بارق ، فسقط على الأرضية وكان قد مات ، ثم تحرك اللوح المعدني باتجاه الحائط حاملاً جثته الى فتحة حيث تشتعل نار ضارية ، وفي لحظات قليلة احترقت جثته بكامها .

- كم يمضي من الوقت على العبيد في المدينة . ؟

تقريبا ، بعضهم يموت سريعاً ، أما الآخرون فيبقون لمدة عام أو عامين . لقد قابلت عبداً مضى عليه خمسة أعوام . لكن هذا يعتبر شاذاً . انهم لا يذهبون الى مكان الموت السعيد . بل يذهبون

بمحض ارادتهم ويفخرون بأنهم خدموا الأسياد ولذلك يموت بسعادة .

استمعت لكل هذا باهتمام . انني خجلان فعلا الآن ، كانت حياتي صعبة ، لذلك لم أحاول قبل ذلك اكتشاف أية أسرار ، وانتظرت نصيحة فريتز . كانت حياة فريتز أكثر صعوبة ، لكنه لم يضع الوقت ، وتجرأ على كشف الأسرار التي يريدها جوليوس ، انه قام بحصته من واجبنا الخطير . وأنا لم أفعل شيئاً على الاطلاق .

قلت لفريتز :

- كيف كنت قادراً على اكتشاف كل هذه الأشياء . انك لاتستطيع أن تفعل كل ذلك حينما يكون سيدك في الحوض . فلم يكن لديك وقت كاف .

أجاب فريتز قائلاً : - كان يذهب مرتين في اليوم الى بيت سيد آخر . لكن السيد الآخر لايحب العبيد . لذلك لايأخذني سيدي معه . فكنت أخرج وأستكشف .

- ولو رجع مبكراً ستكون في مأزق . !

- كنت أحضر عذراً . وبالطبع كان يضربني بالسوط . لكني قد تعودت ذلك .

احمر وجهي من الخجل . فأنا لم أغادر المنزل هكذا مرة واحدة . كنت أبقى وأتحادث مع زملائي العبيد . وكنت قد خرجت أتمشى لكني تهت بسرعة . لذلك رجعت . انني في الحقيقة جبان .

كان المأوى قد امتلأ بالعبيد . لدرجة أننا لم نستطيع أن أن

نتحدث أكثر بأمان فقال فريتز :

– تحدثنا الآن بما فيه الكفاية ، سأراك في الهرم ١٥ في مأواك العام ظهر غد أو اليوم التالي ، مع السلامة ياويل .

– مع السلامة يافريتز .

تحرك مبتعداً في الزحام ، فقلت لنفسي :

– يجب أن تتوقف ياويل عن التفكير في راحتك ، يجب أن تحاول بجدية أكثر أن تكتشف أسرار الأسياد ، حينئذ يمكنك أن تخطط لهروبك .

لم تكن واجباتي في منزل سيدي صعبة جداً ، كنت أحافظ على الغرف مرتبة ونظيفة وأحضر وجباته ، وأملأ حمامه وأجهز سريره .

كان طعامه ، مثل طعامي ، يورد إلينا في أكياس صغيرة ، كل كيس يشبه الفقاعة ، وتستطيع أن ترى من خلاله ، لكنه لم يكن ينفجر مثل الفقاعة ، فقد كان قوياً جداً ، وبعض أنواع الطعام كانت تمزج بالماء وبعضها لابد من تدفئته ، لكن لايطبخ أي منها .

كان كل الأسياد يحبون التمدد في الماء كلما كان ذلك ممكناً ، كانوا يزورون أحواض الحدائق ويستخدمون الأحواض الصغيرة في بيوتهم ، لكنهم يملكون حمامات حارة أيضاً ، كانت غرفة حمام سيدي تقع بعد غرفة نومه ، وكان يأخذ حماماً فيها عدة مرات يوميا ، وكان الماء الحار يصعد من خلال ثقب في الأرضية ، وكنت أضع زيوتا خاصة في الماء ، فتكسبه رائحة ولوناً غريباً ، ثم يجلس سيدي هناك ويفرش جسمه بفرشة خاصة . وقد سبب سريرة لي

أكثر الازعاج ، لقد كان مغطى بمادة رطبة ناعمة وغريبة ، كنت مضطراً لتبديلها كل يوم ، هذه المادة تشبه النور ، إلا أنها في الحقيقة ثقيلة جداً ، لكني لم أكن خادم سيدي فقط ، بل كنت صاحبه أيضاً ، فقد تعلمت أن أقود مركبته ، واضطررت أن أذهب معه في كل مكان .

كان الأسياد يعيشون منفردين ، ويتقابلون في أحواض الحدائق أو الأماكن العامة الأخرى ، ويراقبون معا لعبة الكرة ، لكنهم نادراً ما يزورون بيوت أصدقائهم ، كانوا يقضون معظم النهار وحيدين في منازلهم .

بعضهم كان يبدو سعيداً بهذه الحياة المنفردة ، وآخرون مثل سيدي ، كانوا غير سعداء ، لم يرغب سيدي بالضبط في عبد يقوم بالعمل في منزله ، انه اراد إي شخص يستطيع التحدث اليه ، انه ذكرني بالسيدة العجوز انجولد في قريتي ، كانت لديها قطة مفضلة ، وتتحدث إليها طوال النهار ، الآن أصبحت أنا قطة سيدي ، لكنني كنت أفضل من القطة ، فأنا أستطيع الأجابة عن الاسئلة . سألني سيدي عدة أسئلة عن حياتي في العالم الخارجي ، في البداية كنت خائفاً واستغربت بيني وبين نفسي :

– «ترى هل يعرف أنني جئت من الجبال البيضاء . ؟ هل يحاول معرفة أسرارنا . ؟» لكن مخاوفي تلاشت بسرعة ، فلم يكن هناك سبب محدد وراء أسئلته ، انه كان يريد شيئاً جديداً للتحدث عنه ، هذا كل ما في الأمر . لم أشأ أن أبلغه الحقيقة ، لذلك اختلقت حياة

لنفسي ، فقلت له :

– أبي فلاح في مدينة تايرول ، وعنده مجموعة من الأبقار ، يبيع لبنها ويبيع الزبد والجبن الذي تصنعه أمي ، وفي الصيف كنت معتاداً أن أرعى الماشية بين التلال ، حيث يكون العشب قصيراً وطرياً ، وأبقى معها هناك طوال النهار ، لكن في الشتاء ، فالجليد يغطي التلال ، ولا تستطيع الماشية أن تخرج ، فنغذيها بالتبن .

وكذلك اختلقت لنفسي اخوة وأخوات وأبناء عم وأعمام وعمات .

وصدق سيدي كل شئ أخبرته به .



١٧ ـ فقاعات الغاز

أخبرت فريتز في اليوم التالي عن أسئلة سيدي ، وكنت لاأزال خجلاً ، فقلت له :

انك اكتشفت أسراراً ، أما أنا فيبدو أنني أضيع وقتي في محادثة عبثية لكن فريتز قال :

– لا ، انها ليست عبثية ، انني لم أعرف أن ثمة أسياداً يتحدثون إلى عبيدهم ، ان سيدي يعطيني أوامر فقط ، وقد ضربني مرة أخرى هذا الصباح ، لكنه لايقول شيئاً ، انه فقط يستمع الى صرخاتي من الألم ، فإذا استطعت ان الاسرار من سيدك فلست بحاجة الى ان استطعت أن تستكشف ، وعليك أن تقنعه بأن يخبرك بالمزيد عن هذه المدينة .

قلت له :

– انني لاأستطيع أن أسأله . سيكون ذلك خطيراً . فالعبيد المتوجون لايطرحون أسئلة أبداً .

– قد لا تستطيع أن تطرح أسئلة مباشرة . لكنك تستطيع . أن تجعله يتحدث ، امدح الأسياد ومدينتهم . فذلك سوف يسعده . حينئذ تظاهر بأنك لاتفهم عاداتهم . ولو كنت محظوظاً . فإنه سيحاول أن يشرحها لك ، ألم يحدثك في هذا الموضوع من قبل . ؟

– أحيانا ، لكن لاتوجد كلمات ألمانية تعبر عن الأشياء التي يفعلها . لذلك فانه يستخدم كلماته الخاصة بدلاً منها . فلا أستطيع أن أفهمها على الاطلاق ، لقد أبلغني ذات مرة . أن خلال «زوت ليبوت» فإن «تسو تسو تسو» الخاص به دخل في «سبويز» .. . لكني لم أفهم شيئاً من ذلك .

– لو أنك استمعت بقدر كاف ، فقد تفهم شيئاً .

–لقد حاولت ، لكنه شيئ ميئوس منه .

– لاتفقد حماسك ياويل ، استمر في الاستماع وشجع سيدك أن يتحدث ، هل هو يستخدم فقاعات غازية . ؟

هذه الفقاعات مصنوعة من مادة ناعمة . مثل المطاط وكانت الفقاعات تحتوي على زيت خاص . وقد اعتاد الأسياد أن يلصقوا واحدة منها على جلدهم ، تحت الأنف . وعندما يضغطون عليها بذراعهم ، يخرج منها غاز أحمر داكن . ويتكاثف هذا الغاز معلقاً في سحابة صغيرة . حول رؤوسهم . بينما هم يتنفسونه .

ويستمرون في الضغط على الفقاعة حتى تفرغ .

قلت :

– نعم ، انه يستخدم فقاعة كل يوم . وأحيانا فقاعتين ، انه يستخدمها عندما يكون في حوضه الصغير .

– عظيم ، أنت تعرف أن المشروب القوي يثير الرجال العاديين . والغاز يثير الأسياد مثل المشروب ، فسيدي يضربني بقسوة أكثر عندما يتنفسه ، ربما يتحدث سيدك أكثر . خذ اليه فقاعة إضافية عندما يكون في الحوض .

– من الممكن ألاّ يقبلها .

– ربما لا ، لكنك تستطيع أن تحاول .

كان فريتز يبدو متعباً ومريضاً جداً ، وكان يوجد دم على ظهره . اننا سنضطر أن نهرب من المدينة قبل أن يصبح ضعيفاً جداً . وعدته قائلاً :

– غداً سأحاول .

وقد حاولت . بعد ظهر ذلك اليوم . لكن سيدي رفض أن يأخذ فقاعة ثانية ، ففكرت باستغراب :

–كيف أستطيع أن أقنعه بأن يقبلها غداً . ؟ لابد أن توجد طريقة .

وقد أمرني سيدي بالاجابة على سؤالي . في اليوم التالي نقلته بالمركبة الى مكان يعمل فيه ، وقال لي :

– سيستغرق عملي حوالي خمس ساعات . انتظرني في المأوى هنا .

ومثل العبيد الآخرين بقيت أو نمت عندما استطعت . فقد

كانت توجد أسرة قليلة في هذا المأوى . وكانت صلبة وغير كافية بالنسبة لنا ، لكننا سررنا بها . وكنت محظوظاً هذاالصباح . فوجدت سريراً خالياً ونمت عليه . وتقريبا كنت نائماً عندما هز ذراعي شخص ما . فسألت :

– مالأمر . ؟

– رقمك يومض في الصندوق على الحائط . سيدك يريدك .

هذا ليس حقيقياً ، انك تكذب عليَّ لأنك تريد سريري .

لكنها كانت الحقيقة ، وومض رقمي . فنهضت وأخذ مكاني العبد الآخر ، فقلت : انني لاأفهم هذا . عمل سيدي سيستغرق خمس ساعات ونحن هنا فقط منذ عشرين دقيقة . لابد أن هناك خطأ .

– قد يكون مريضاً .

– وهل يمرض الأسياد ، انني لم أعرف ذلك .

قلت ذلك متعجباً ،فشرح لي الصبي :

– يحدث ذلك أحياناً ، فيبقون في البيت لمدة يومين أو ثلاثة . وهذا يحدث بشكل خاص للأسياد ذوي الجلد الداكن .

وبينما كنت ألبس قناعي ، تذكرت شيئاً ، فجلد سيدي قد بدا قاتماً بشكل زائد هذا الصباح . غادرت المأوى ، وكان ينتظرني بالخارج ، ولايزال جلده يبدو أكثر قتامة ، واذرعه ترتجف ، وقال :

خُذني الى المنزل .

فعلت ذلك . عندما وصلنا الى البيت . جلس في حوضه الصغير . وانتظرت بجانبه لكنه لم يتحرك . فسألته :

ألا تريد أي شيئ ياسيدي . ؟

إلا أنه لم يجب . فذهبت الى غرفة النوم وجهزت سريره . ثم سمعته ينادي عليَّ وكان لايزال في الحوض . فقال :

– أيها الصبي . احضر لي فقاعة غازية .

أحضرت واحدة ، فوضعها بين فمه وأنفه ثم عصرها .فتصاعد منها غاز أحمر وبدأ يتنفسه بعمق . واستمر يتنفس هكذا حتى فرغت الفقاعة . ثم القى بها بعيداً وطلب واحدة أخرى . وكان ذلك شيئاً عادياً . استعمل الفقاعة الثانية . ثم طلب الثالثة . وبعدها مباشرة بدأ يتكلم . في البداية لم أستطع أن أفهم كثيراً . كان يخبرني كيف يمرض الأسياد . فقال :– اننا نعاقب بهذا على أعمالنا الشريرة . لذلك لانستطيع أن نشكو . فنحن مضطرون لقبول عقابنا بشجاعة .

هل كان يتحدث عن أعماله هو أو عن جنسه كله . ؟ لم أكن متأكداً لكن فقاعة الغاز الثالثة كانت فارغة .فألقى بها وقال :

– أحضر أيها الصبي فقاعة أخرى . وتحرك بسرعة هذه المرة .

كانت فقاعات الغاز في الغرفة حيث يحفظ الطعام . ذهبت لأحضر واحدة . وعندما رجعت . كان هو خارج الحوض . وقال وفي صوته نبرة عجيبة :

– أنا قلت تحرك بسرعة أيها الصبي !

ثم رفعني بذراعين من اذرعه في الهواء بشكل مفاجئ . لم يكن قد لمسني منذ اختارني في البداية . لذلك كانت هذه مفاجأة تامة . لكن بسرعة حل الألم مكان المفاجأة . فقد التوى الذراع الثالث في الهواء ونزل على ظهري بعنف . حاولت أن أهرب . لكنه كان يمسكني بشدة . وظل الذراع يضربني مرة ومرة . فظننت أنه سيكسر عظام صدري . وقد يكسر رقبتي كذلك .

تذكرت قصة فريتز . فقد كان سيده يستمتع بصرخاته من الألم . ربما أنا أيضاً ينبغي أن أصرخ بصوت عال . لكني رفضت وانغلق فمي بشدة وبقي هكذا . عضضت الجلد داخل فمي . وأحسست بطعم الدم . واستمر هو في ضربي . لم أستطع أن أعد ضرباته . فقد كانت كثيرة جداً . ثم ملأ أذنيّ صوت عال . وتعطل عقلي وأصبح قاتماً



١٨ ـ كلب سيدي

عندما أصبح عقلي صافياً مرة أخرى ، كنت نائماً على الأرضية ، وكان يوجد ألم في كل جزء من جسمي ، بذلت جهداً كبيراً ونهضت ، كان سيدي جالساً بهدوء في حوضه ، جرجرت جسمي إلى خارج الغرفة ودخلت مأواي ، فخلعت قناعي واغتسلت ، ثم صعدت على السلم الى سريري ، وفكرت قائلاً لنفسي :

– لقد نسيت أن أؤدي علامة الاحترام ، فلم أحن رأسي عندما تركت سيدي ، العبد المتوج لاينسى أن يفعل ذلك أبداً ، انني أشعر بعدم الاحترام ، لكني يجب ألا أظهر ذلك ، إن أخطاء مثل هذه قد تكون خطيرة .

وقبل أن أستطيع النوم ، دق الجرس ، وطلبني سيدي مرة أخرى . كنت مجهداً جداً على أن أتحرك ، لكني لم أستطع أن أرفض . فنزلت السلم ولبست قناعي وغادرت المأوى ، ترى هل سيضربني مرة أخرى . ؟ كنت خائفاً من ذلك . كما انني لازلت لاأستطيع أن أمشي بدون تألم ، لكن مفاجأة من نوع مختلف كانت بانتظاري . فلم يكن سيدي في الحوض ، بل كان واقفاً قرب الباب . وحملني ذراعه في الحال ، لكنه لم يضربني ، وبدلاً من ذلك . لامس جلدي برقة ، وأصبحت قطة سيدي مرة أخرى ، فقد كان يلاطفني وقال : «انك صبي عجيب» .

لم أقل شيئاً . فقد كنت في وضع غير مريح ، لكوني مضروباً ، لكن رأسي كان منخفضا عن جسمي ، واستمر السيد قائلاً :

– انك لم تعمل ضوضاء عالية مثل العبيد الآخرين ، فيك اختلاف ، وقد رأيته في أول يوم ، عندما اخبرتك .

ملأتني كلماته بالخوف ، ففكرت قائلاً :

– لماذا أكون غبياً هكذا . ؟ من الواضح أن الصبية المتوجين يتصرفون مثل الأطفال ، انهم يصرخون عاليا عندما يضربون ، وقد رأى فريتز ذلك ، وهكذا صرخ هو عالياً ، وأنا لم أفعل لكوني كثير الإباء وقد نسيت أن أؤدي علامة الاحترام ، فماذا سيحدث بعد ذلك . ؟ هل سوف يشك في مسألة تتويجي . ؟ هل سيرغب في اختبار غطاء رأسي . ؟ !

لكنه لم ينظر الى غطاء رأسي من خلال القناع ، وبدلاً من ذلك

أنزلني عن ذراعه فأديت علامة الاحترام بسرعة ، لكنني عندما أنحنيت للأمام ، كنت على وشك أن أسقط ، فقد اجتاح جسمي شعور بالضعف ، ومنعني ذراعه فقط من السقوط فانه رفعني بقوة ولكن بلطف وقال صوته :

– ماذا يكون الأصدقاء ، أيها الصبي . ؟

– أصدقاء ، ياسيدي . ؟ !

– نعم ، أصدقاء ، عندنا في المدينة مخزن لكتب أهل جنسك ، فالأسياد لايكتبون كتباً ، لكنني قرأت بعض كتبكم ، لأنني أردت أن أعلم الكثير عن جنسكم ، بعض كتبكم تحكي أكاذيب فتبدو مثل الصدق ، وتحدثت الكتب عن الأصدقاء ، وقالت ان الأصدقاء يحبون أن يكونوا معاً ، هذا شئ عجيب بالنسبة لنا .

وكان صوته أهدأ الآن ، ولم يعد مثاراً ، لكن الغاز جعله يتكلم :

– أخبرني أيها الصبي ، هل كان عندك صديق ، قبل أن تأتي الى المدينة . ؟

– نعم ، سيدي .

– حدثني عنه .

أخبرته عن ابن عمي جاك ، وأن جاك كان أقرب صديق لي حتى تم وضع غطاء على رأسه ، لقد غيرت التفاصيل طبعا ، وجعلتها تناسب حياتي في مدينة تايرول ، لكني أخبرته كيف أن جاك وأنا ، كنا نقوم بعمل أشياء معاً ، وأخبرته عن خلوتنا خارج القرية .

كان سيدي يستمع الي باهتمام ، وفي النهاية قال :

– هناك قوة غامضة تربطك أنت وصديقك معاً ، لكن هذه القوة بداخلكما ، انكما تنجذبان الى بعضكما برغبتكما الذاتية ، وليس بقوة مفروضة عليكما انكما تستمعان بتحدثكما معاً ، أليس هذا صحيحاً . ؟

– نعم سيدي .

– وهل يحدث هذا كثيراًبين أهل جنسك . ؟

– نعم سيدي ، انه شيئ شائع .

ظل صامتاً وقتاً طويلاً ، هل يكون قد نسيني . ؟ هل ينبغي أن أتركه . ؟

كنت قد قررت تواً أن أذهب ، عندما تكلم ثانية :

–كلب ، هذا حيوان صغير . ؟ ويعيش مع الرجال . ؟– بعض الكلاب تفعل ذلك ياسيدي ، وبعضها تكون برية .

–قرأت في واحد من كتبكم : «كان كلبه هو صديقه الوحيد .» هل هذه حقيقة . ؟ أو تكون واحدة من الأكاذيب . ؟

– من الممكن أن تكون حقيقة ، ياسيدي .

– نعم ، انني فكرت هكذا .

بدا احد من أذرعه يتلوى ببطء لأعلى وأسفل ، وكنت أعرف هذه العلامة ، لقد كانت علامة السرور ، ثم التوى الذراع نفسه بلطف حول جسدي ، وقال السيد : «أيها الصبي ، انك ستكون صديقي . »



لقد دُهشت جداً من الفكرة ، لكن من الواضح أنني كنت مخطئاً عندما قارنت نفس بقطة السيدة انجولد ، فأنا لم أكن قطة سيدي ، بل كنت كلبه المدلل الصغير . !

عندما شاهدت فريتز مرة أخرى ، أخبرته بذلك وتوقعت أن يضحك ، لكنه لم يفعل ، وبدلاً من ذلك قال بجدية :

– هذا شئ مدهش ياويل .

– مدهش من أية ناحية . ؟

– ان كل الأسياد يبدون متشابهين في البداية ، وربما نحن أيضاً نبدو لهم متشابهين ، وهم في الحقيقة مختلفون تماماً ، فسيدي غريب بطريقة معينة ، وسيدك غريب بطريقة أخرى ، لكن تصرف سيدك الغريب ، من الممكن أن يكون مفيداً ، فقد يساعدنا على أن نعلم أشياء عنهم ، وأما عن تصرف سيدي ..

قالها وابتسم بعدم رضا ثم أكمل :

– فانه مؤلم فقط ولايساعدنا على الأطلاق .

– انني مازلت لاأجرؤ على توجيه أسئلة حيث أن العبيد ليس باستطاعتهم أن يسألوا .

– قد تكون مخطئاً ، فأنت لم تتصرف مثل العبيد عندما ضربك ، لكنه قبل هذا الاختلاف وسعد به ، وقد جعلك صديقه لكونك مختلفاً ، وربما تستطيع أن توجه إليه أسئلة بسيطة ، لكن كن حذراً ، ودائماً اظهر احترامك له .

– قد تكون محقاً في هذا .

– حاول أن تكتشف أين يحفظون الكتب ، فانهم قد دمروا كل كتبنا التي تتضمن أسرار القدماء ، لكن من المحتمل أنهم يحتفظون بنسخ منها لهم هنا .

– سأحاول أن أبحث عنها .

– رائع ، لكن كن حذراً ، فالأخطاء قد تكون خطيرة .

وهكذا حذرني فريتز مرة أخرى ، ومن المحتمل أنه تصور أنني أستطيع أن أستغل فرصي الأفضل ، لو أن الأمر هكذا ، فهو على حق ، لقد كانت لديه فاعليات أفضل في عمله ، أما أنا فكنت شديد الاباء ، ولا أفكر بحذر ، لكنه لايستطيع التحدث الى سيده ، وكان قد ضُرب مرة أخرى هذا الصباح ، وقال عن ذلك :

– أوجعني ذراعه كثيراً ، لكن سوطه ألمني كثيراً جداً ، انه يلسع بشكل فظيع ويلهب الجلد .

تمنيت ألا أشعر بآلامه أبداً ، وإستمر فريتز يقول :

– «لقد اكتشفت شيئاً آخر ، في أحد الأهرامات ، توجد صور لسماء الليل وهي توضح كل النجوم الهامة ، ويستطيع الأسياد أن يجعلوا هذه الصور تتحرك بالضبط كما تتحرك النجوم نفسها ، وتوجد أيضاً كرة ضخمة ، ارتفاعها مثل طولي ، ومغطاة بالخرائط ، وقد تعرفت على جزء منها ، حيث توضح مكان الجبال البيضاء ، وتوضح النهر العظيم الذي ابحرنا فيه بالصندل المسمى «ايرل كوننج» وتميز موقع هذه المدينة بزر كبير من الذهب ، كما يوجد

زراز خران من الذهب ، على هذه الخريطة المستديرة ، احدهما
بعيد ، أقصى الشرق ، بجانب محيط ، والآخر في أقصى الغرب وهو
قطه ضيقة من الأرض بين محيطين ، ولابد أن هاتين المدينتين
للأ باد ، فمن الواضح انهم يحكمون العالم من ثلاثة أماكن مختلفة .»
وهكذا كان فريتز مستمراً في الكشف عن الأسرار ، أما أنا
فأ طيع فقط أن أقور انني كلب سيدي المدلل ، انني عزمت الآن
علىأن أكتشف شيئاً قبل أن نلتقي مرةً أخرى .

١٩ ـ اخضاع عالمنا

كان سيدي مريضاً لعدة أيام . فلم يذهب الى العمل . كان
يجلس فقط في حوضه . واستخدم كمية كبيرة من الفقاعات
الغازية . لكنه لم يضربني مرة أخرى . كان أحياناً يلتقطني
ويدللني . وأحياناً يتحدث إليَّ . وكنت عادة لا أستطيع أن أفهم
الكثير من محادثته . لكن ذات مساء حدثت مفاجأة . فقد بدأ
يخبرني كيف قهر الأسياد عالمنا . وقال :
– «لقد جئنا من عالم آخر في سفينة فضائية كبيرة . وتستطيع سفن
الفضاء أن تسافر بسرعة جداً . انها تقريبا تسافر بأسرع من ضوء
الشمس . لكن رحلتنا استغرقت عدة سنوات . »
كنت أعلم أن الأسياد جاءوا إلى أرضنا لأول مرة . منذ حوالي
مائة سنة . فإذا كانوا جميعهم قد جاءوا في هذه الرحلة . فلابد أن
يكونوا شيوخاً منذ مائة سنة على الاقل . وكانت هذه فكرة

مدهشة .

استمر هو يقول :

– كان عالمنا قد امتلأ تماماً . ولم تكن هناك غرف لنا كلنا . لذلك قررنا أن نستكشف عوالم أخرى . وفي البداية لم نكن محظوظين . كانت بعض العوالم كبيرة جداً وبعضها صغيرة جداً . كانت بعضها باردة جداً . وبعضها حارة جداً . ثم أتينا إلى عالمك . أنه أصغر وأبرد من عالمنا . وكل شيء عليه يعطي إحساساً بخفة الوزن . ويوجد سم في الهواء . لذلك لانستطيع أن نتنفسه . انه حقيقة لم يعجبنا . لكنه كان من الممكن العيش فيه . أيضاً يوجد بشر في عالمك . وكنا مضطرين أن نقهرهم . لكن ذلك بدا أنه سيسبب ازعاجاً لنا . فدرنا حول عالمك كما يفعل القمر . طرنا حوله لعدة سنوات وفحصناه بعناية من مسافة بعيدة . لقد اكتشف مواطنوك شيئين مدهشين . يطلق عليهما الراديو والتلفزيون . بواسطة الراديو يستطيعون التحدث الى جماهير أخرى في أي جزء من العالم . وعن طريق التلفزيون . يمكنهم إرسا صور إليهم . نحن أيضاً لدينا أجهزة تستقبل أصواتهم وصورهم . لذلك كنا نستمع ونشاهد ونحن في سفينتنا الفضائية في السماء . ولم نكن بحاجة الى أن نذهب قريباً من الأرض . وأحياناً كنا نرسل سفناً فضائية صغيرة . إلى أسفل لتفحص بعض التفاصيل عن قرب أكثر . وقد شاهد بعض مواطنيك القدامى هذه السفن الفضائية الصغيرة . لكن أصدقاءهم لم يصدقوا تقاريرهم . وكان هذا أحد الفروق بين جنسك وجنسي

فالأسياد يقولون الصدق فقط . أما مواطنوك فغالباً ما يقولون الأكاذيب . وما زالوا يفعلون ذلك قبل أن يتوّجوا . وقد نظرنا إلى مواطنيك باعتبارهم عدو خطير فهم يملكون مدن عظيمة والات عجيبة وقد بدأوا يبنون سفناً فضائية تستطيع ان تسافر الى عوامل أخرى . انهم لايملكون سفناً فضائية واسعة مثل سفننا . لكنهم يتعلمون بسرعة . كما يملكون اسلحة .»

وقد حدثني عن بعض هذه الأسلحة . إذ توجد من بينها بيضات معدنية بأنواع مختلفة . نسميها قنابل . وتذكرت البيضة المعدنية . التي وجدناها في مدينة فرنسية قديمة . كما أنني دمرت مركبة ثلاثية القوائم بواحدة منها . لكنها كانت صغيرة . وبعض القنابل تكون أكبر من ذلك بألف مرة .

قال سيدي :

– «تستطيع قنبلة كبيرة واحدة أن تدمر مدينة . فهي تستطيع أن تحرق الأرض وتدمر كل الحياة لمسافة عدة أميال . لذلك لم نتجاسر على الأرض فمواطنوك قد يدمرون سفينتنا الفضائية في الحال . وكنا مضطرين أن نقهرهم بطريقة مختلفة . وبوسيلة خاصة كنا نحن أبرع منهم . فهم يعرفون الكثير عن أجسامهم وآلاتهم . لكنهم يعرفون القليل عن عقول الرجال . أما نحن فقد تعلمنا كيف يمكن السيطرة على العقول .»

تذكرت المرة التي ثبتت فيها مركبة ثلاثية القوائم زراً معدنياً تحت ذراعي . وحينئذ أخبرني جومبر أشياء عن قوة العقل . فقد

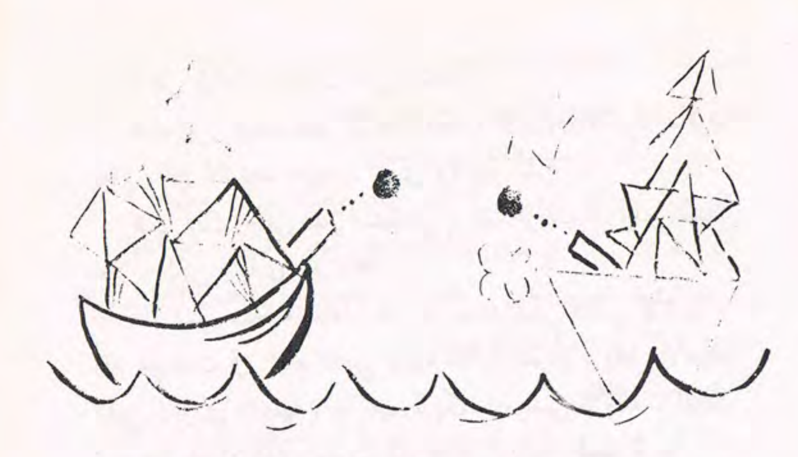
- يملك قليل من الرجال قوة خاصة . فإذا نظروا بتركيز في عينيك يستطيعون أن يجعلوك تنام . ثم خلال نومك . ستطيع أوامرهم .»

كان الأسياد يعرفون ذلك . وأكثر من ذلك . لكنهم يواجهون مشكلة واحدة . فانك لاتستطيع أن تأكل السمكة الى أن تمسك بها . وهم أيضا لايستطيعون أن يجعلوا الرجال يطيعونهم مالم ينظروا في عيونهم . لذلك فقد كانوا يمسكون سمكتهم . عن طريق جهازنا : التلفزيون .

فإن محطة التلفزيون تستخدم لإرسال الصور الى ملايين المنازل . وكان الأسياد قادرون على حجب هذه الصور . وبدلاً منها يرسلون صوراً خاصة بهم . ومن خلال صورهم يستطيعون النظر في عيون الرجال والسيطرة على عقولهم . كانوا ينيمون الرجال ثم يعطونهم الأوامر .

واصل سيدي حديثه فقال :

- «عندما نام الرجال ، هبطت مائة سفينة فضاء صغيرة . في أماكن هامة . وأطاع الرجال أوامرنا . فذهبوا إليها . وقمنا بتتويج الذين جاءوا أولاً . ثم ذهب كل واحد منهم وتوج رجالاً آخرين . وهؤلاء بدورهم ذهبوا وتوجوا آخرين . وبهذه الطريقة استطعنا أن نتوج ملايين من الناس بسرعة . أما أولئك الذين لم يشاهدوا صورنا . فهم الذين يحاولون قتالنا الآن . لكنهم تأخروا كثيراً . فرجالنا المتوجون جاهزين للسيطرة على أسلحتهم الحربية العظيمة . وهكذا هبطت أول سفينة فضاء ضخمة وبدأنا نبني مدينتنا .»



٢٠ - بدات استكشف المدينة

سألت سيدي : هل الرجال غير المتوجين مستمرون في القتال .؟

- نعم ، استمر بعضهم في القتال ، وهم يملكون سفناً كبيرة في البحر ، وسفناً خاصة أخرى ، تسافر تحت البحر ، هذه السفن تستطيع أن ترمي قنابل لمسافة عدة آلاف من الأميال ، فتعقبناها ودمرناها واحدة اثر أخرى ، لكن سفينة اختبأت عنا لمدة عام ، وبقت تحت البحر ، فلم نعثر عليها ، ثم ألقت قنبلة كبيرة ، كانت على وشك أن تضرب مدينتنا الجديدة ، إلا أنها أخطأتنا ، ومن حسن الحظ أن هذا الهجوم دلنا على موقع السفينة ، وهكذا كنا قادرين أخيراً أن ندمرها ،وقد اضطررنا إلى أن نقاتل على الأرض أيضاً . كما اضطررنا إلى أن ندمر بعض مدنكم ، لكن في النهاية

توجنا كل الرجال وبذلك حل السلام .

قلت له : لذلك فكل الرجال سعداء الآن ، والأسياد يحكمون العالم ، كما لاتوجد حروب أخرى ولابشر أشرار .»

قلت ذلك بحماس قدر استطاعتي ، فقد أردت أن أبدو سعيداً فعلاً ، لكن سيدي رد قائلاً :

– «هذا ليس صحيحاً تماماً ، فما زال هناك بعض الناس الأشرار ، وقد هوجمت في العام الماضي مركبة ثلاثية القوائم ، وقتل الأسياد الذين كانوا في داخلها ، إذ أنهم لم يكونوا مرتدين الأقنعة ، لذلك تسمموا بالهواء الذي تسرب الى داخل المركبة المعطوبة .»

فصحت قائلاً :

– قتل بعض الأسياد . ؟ ! من يستطيع أن يفعل ذلك الشيء الفظيع . ؟

– سأخبرك أيها الصبي ، لكن قل لي أولاً ، قبل أن تتوج ، هل كنت تحب الأسياد . ؟ هل كنت تحبهم بقدر ماتحبهم الآن . ؟

– طبعاً ، سيدي .

قلت ذلك ، ثم تذكرت شيئاً ، فالناس المتوجون لايكذبون ، وهذه كان من الواضح أنها أكذوبة ، لذلك أضفت قائلاً :

– كنت أحبهم ، لكن ليس تماماً بقدر ما أحبهم الآن ، فالتتويج ساعدني على أن أحبهم أكثر .

وكانت هذه هي الأجابة الصحيحة ، فاستمر سيدي يقول :

– يحدث التتويج عندما يكتمل نمو رؤوسكم ، وهذا قد يكون

متأخراً جداً ، فهكذا يفكر بعض الأسياد ، انهم يقولون : ان بعض الصبية يتصرفون ضدنا قبل تتويجهم .

حاولت أن أبدو مندهشاً ، وقلت :

– يتصرفون ضدكم سيدي . ؟ لكن ماذا بإمكانهم أن يفعلوا . ؟

– لقد أخبرتك تواً ، ان بعض الأسياد قُتلوا العام الماضي ، لقد قتلوا بواسطة صبية غير متوجين ، فقد عثر الصبية على بعض القنابل القديمة ، لاتزال صالحة للانفجار .

صرخت قائلاً :

– هذا شئ فظيع ، ولابد أن يتوج الصبية في المستقبل مبكراً أكثر من ذلك .

– نعم ، يجب هذا ، لكنهم بالطبع سيموتون بأسرع وقت ، فستكون رؤوسهم مازالت تنمو وسوف تؤلمهم لان تيجانهم سيصبح ضيقة جداً ، ونحن لانريد أن نكون قساة ، لكن الصبية غير المتوجين يكونون خطرين حيث لانستطيع أن نتعقبهم .

– لا ، حياة الأسياد يجب ألا تترك في خطر .

كان سيدي لايزال جالساً في حوضه ، حرك أذرعته وصب بعض الماء الدافئ على جسمه ، ثم قال :

– «لكن ، ربما لن نحتاج أن ننشغل بالصبية غير المتوجين أكثر من ذلك فخطتنا العظيمة على وشك أن تكتمل وبسرعة لن تكون هناك حاجة الى تيجان .»

انتظرت ، لكنه بقي صامتاً ، لذلك تجرأت وسألت :

– قلت الخطة ياسيدي . ؟

ظل صامتاً ولم أتجاسر على أن أسأل مرة أخرى ، وبعد لحظات قليلة ، قال :

– أحياناً ، يرتجف جسمي عندما أفكر في الخطة ، انها تجعلني أشعر بالمرض ، لذلك فربما يوجد بها بعض الشر ، وربما أنني أعاقب على هذا الشر ، فما يكون الطيب وماذا يكون الشرير أيها الصبي . ؟

– نحن طيبون إذا أطعنا الأسياد ، أما الصبية غير المتوجين ، فهم فقط الأشرار .

– نعم .

أنزل جسمه الى عمق أكبر في حوض الماء الساخن ، ثم لف أذرعه حوله بإحكام ، انني لم أره يفعل ذلك من قبل ، فلم أعرف ماذا يعني هذا التصرف ، ثم قال :

– بطرقة ما ، فأنت محظوظ أيها الصبي لكونك ترتدي تاجاً .

وافقته بحماس قائلاً :

– أنا محظوظ جداً ياسيدي .

– نعم .

قالها وفك أحد أذرعه ، مشيراً به نحوي :

– اقترب أكثر ، أيها الصبي .

ذهبت الى حافة الحوض ، فلاطف الذراع جسمي برقة ، الا أن ذلك جعلني أشعر بإعياء وحاولت بصعوبة أن أبدو مسروراً ، فقال :

– أيها الصبي ، انني سعيد لكوني صديقك ، خاصة عندما أكون مريضاً ، فأنت تجعلني أشعر بتحسن ، وقد قرأت أن الرجال يحصلون على أشياء من أجل كلابهم ، ويحاولون إسعادهم وجعلهم مرتاحين ، فهل هناك شيئ ، سوف يسعدك ، أيها الصبي . ؟

فكرت لحظة ، ثم قلت :

– أحب أن أرى الأشياء العجيبة في مدينتكم ياسيدي ، وسوف أكون سعيداً برؤية الكثير منها .

– من الممكن أن يحدث هذا .

توقف ذراعه عن مداعبتي ، وبدأ ينهض خارجاً من الحوض ، ثم قال :

– الآن ، أريد أن آكل ، جهز المائدة .

في اليوم التالي ، كان سيدي يشعر بتحسن أكثر ، ورجع الى عمله ، كما أعطاني شيئاً لكي ألبسه في معصمي . وقال :

– «انها ستصدر صوتاً خاصاً عندما أريدك ،حينئذ لابد أن تأتي إليَّ ، لكن يمكنك أن تتجول في المدينة ، ولست بحاجة لأن تنتظر في المأوى العام أسفل مكان شغلي .»

لقد ادهشني ذلك ، فلم أكن أتوقع أنه يتذكر طلبي ، لكن تتابعت بعد ذلك مفاجآت أخرى ، فقد أخذني معه للتعرف على المدينة ، ولم أستطع أن أفهم كل شيئ رأيته ، زرنا حدائق متنوعة ، حيث كان سيدي يستمتع في الأحواض ، وقد دعاني الى أن أعجب بجمال هذه الحدائق ، فتظاهرت بأنني أفعل ذلك ، لكنها

كانت قبيحة بشكل فظيع ، فليس بها أزهار أو عشب مثل حدائق بلادنا ، كما أخذني الى المكان الذي زاره فريتز ، ورأيت الكرة العظيمة المغطاة بخريطة العالم ، كما رأيت خرائط النجوم ، وقام سيدي بتحريك النجوم ، وفي احدى الخرائط أوضح لي العالم الذي أتى منه الأسياد منذ زمن طويل ، وقد حاولت بصعوبة أن أتذكر موقعه في السماء .

وأخيراً اكتشفت سراً ، انه لن يساعدنا ، لكنه مازال سراً .



٢١ ـ هرم الجمال

ذات يوم ، أخذني سيدي الى هرم الجمال ، لقد كنت مدهوشاً ، لماذا كل العبيد في المدينة كانوا صبية . وكنت أتمنى أن أقابل «إلويز» صديقتي من قلعة «ردتاور» فكل سنة ، كانت ملكتهم في المبارزة تؤخذ لتخدم الأسياد ، وقد أخذت إلويز كملكة ، لذلك لابد أن تكون في المدينة . وكنت في الغالب خائفاً من لقائي بها الآن ، وتعجبت مع نفسي :

– بأي شكل ستبدو هي . ؟ هل ستبدو متعبة ، عجوز ، مريضة ، مثل العبيد الآخرين ، لابد أن الحرارة والوزن في هذا المكان ، سيدمران جمالها .

انني لم أعثر على بنات ولا فريتز أيضاً ، فأين كانت البنات . ؟ لم أستطع أن أسأل سيدي ، لكنني رأيتهن بعد ظهر هذا اليوم ، كان هرم الجمال يقع على مسافة طويلة من منزلنا ، وقد سارت مركبتنا

لمدة ساعة ونصف قبل أن نصل إليه . كان هناك الكثير من الأسياد وقليل منهم إصطحبوا عبيدهم معهم ، انه لم يكن هرماً واحداً بالضبط ، كانت مجموعة من الأهرامات ، متصلة ببعضها . دخلنا [illegible] الأول ، فكنت على وشك أن أصرخ من الفرح ، انها حديقة زهور ، زهور حقيقية : حمراء ، صفراء ، زرقاء ، بيضاء ، ففي هذه المدينة القبيحة عديمة اللون ، كنت قد نسيت تقريباً كيف يمكن أن تكون الحديقة زاهية .

وبالطبع لم أستطيع أن ألمس تلك الزهور ، فأن كل جزء من الحديقة ، كان محمياً من هواء المدينة الخطير ، بواسطة قناع كبير ، ثم تساءلت مع نفسي :

– لكن هذه الزهور ليست حية ، فكل شيئ في الحديقة ميت ، وحتى هذه الحشرات على الزهور لاتتحرك ، وانظر الى هذه الأشجار ، توجد طيور فوقها ، لكنها لاتستطيع الطيران ، كما توجد حيوانات تحت على العشب ، لكنها لاتستطيع أن تجري ، أن الأسياد يأتون الى هنا لرؤية الحياة البرية في عالمنا ، لكن لاتوجد حياة حقيقية هنا فكل شيئ زائف وميت وكانت توجد مجموعات من مناظر مختلفة كان بعضها غير مألوف لي تماماً ، فنباتاتها وحيواناتها العجيبة ، لابد أن تكون قد جاءت من أجزاء غريبة من عالمنا لكن سيدي لم يكن قد أحضرني لمشاهدة هذه الحدائق فهناك سبب خاص لزيارتنا ، إنه يقع في الهرم العظيم في مركز المجموعة ، وهناك اضطررنا أن نصعد درجات عديدة الى الطابق الثاني ، وقد كنت

ظعيفاً جداً على أن اتسلقها ، وفي النهاية وصلنا القمة واجتزنا باب ، فقال سيدي : – انظر أيها الصبي .

نظرت فمتلأت عيني بالدموع ، لكني لم أكن حزيناً فقط ، كنت غاضباً أيضاً ولم أكن غاضباً الى هذه الدرجة من قبل ، وطوال حياتي كلها ، تذكرت زيارة الى منزل الطبيب في بلدتنا ، كانت أمي قد أرسلتني برسالة ، بعد ظهر يوم أحد ، وكان يوجد دولاب في غرفة معيشته ، وبه صف من الأدراج الضيقة ، قام الطبيب بسحب بعض الأدراج وأظهرها لي ، كانت كل منها يحتوي على مجاميع من الحشرات الجميلة ، كانت مثبة بدبابيس ، تمسكها في مكان محدد . وهذه القاعة في هرم الجمال كانت شبيه بذلك تماماً ، فهي تشتمل على صفوف من علب زجاجية ، وفي كل علبة ، ترقد فتاة في أحسن ملابسها قال السيد :

– «هن فتياتكم أللائي جلبن الى المدينة ، وقد اختارهم مواطنوك لجمالهن ، ثم انتقي الأسياد أحسنهن ، لهذا المكان .

وكل عام نتخلص من بعضهن ونضع في مكانهن فتيات جديدات ، لكن الأكثر جمالاً منهن ، سوف يبقين على الدوام وسيبقين هنا بعد أن تكتمل الخطة .»

كنت غاضباً بشدة لملاحظة إشارته الى الخطة . وتمنيت لو أملك قنبلة في يدي ، مجرد بيضة معدنية صغيرة . بينما استمر سيدي يقول : – لسوف يبقين هنا حتى يستطيع الأسياد أن يعجبوا بهن ، اللسن رائعات . أيها الصبي .

أجبته بصعوبة : نعم سيدي ، إنه لشيئ رائع .
مازلت أتمنى ان أرى «إلويز» وأيضاً كنت خائفاً من رؤيتها ، وكانت آمالي ومخاوفي تتزايد في كل لحظة ، كنت أبحث عن وجهها ، لكنني إذا لم أراه ، سأشعر بالاعياء . قال السيد :
– في هذا الجزء من القاعة ، جميعهن بشعر أحمر ، إن الشعر الأحمر عادي بين مواطنيك .
لم أكن مهتماً بالشعر الأحمر ، فإليوز كان شعرها أسود ، ثم سألني :
أيها الصبي ، هل ترغب في الاستمرار أم رأيت مايكفي . ؟
– أحب أن استمر ياسيدي .
اصدر ضوضاء من أنفه ، وكانت علامة على السرور ، ربما كان يظن إنه يجعلني سعيداً ، استمر وأنا اتبعه ، وأخيراً رأيتها . كانت ترتدي الفستان الأزرق القاتم ، الذي كانت ترتديه في مسابقة المبارزة استحضرت المنظر في عقلي من جديد ، كان هناك صف من الفرسان ، عند طرف الساحة ، وكانت السيوف تلمع في الشمس والمقاعد مزدحمة .
والآن فأن عينيها العسليتين مغمضتان ، وتبدو نائمة ، لكنها ترقد في علبة زجاجية ، مثل كل الفتيات الأخريات ، ولن تستيقظ أبداً مرة أخرى . قال السيد :
– مثال آخر للجمال من جنسك ، هل رأيت ما يكفي الآن أيها الصبي ؟ – نعم سيدي رأيت ما يكفي .

٢٢ ـ نقطة ضعف سيدي

انقضت الأيام والأسابيع ، وضعفي يزداد مع كل يوم ، فنهوضي من السرير كان يزداد صعوبة كل صباح ، وكان هناك شئ يزيد تعبي بشكل خاص ، وهوأن سيدي يحب مداعبة جسمي ، ويفعل ذلك كثيراً الآن .
وبالمقابل كنت أضطر ان احك وأهرش جسمه ، وكان يوجد مكان في ظهره ، يمنحه البهجة عندما أهرشه فيه . آلمتني أصابعي ، وكسر جلده الخشن أظافري ، لكنه دائماً يرغب في المزيد . وفي النهاية وجدت أله يمكنها أن تهرش أحسن من اصابعي ، انها كانت نوع من فرشاة السلك ، وبها أنقذت أظافري ، إلا أن ذراعي ما زال يؤلمني بدرجة فظيعة .
بعد ظهر أحد الأيام ، نمت وأنا أهرش له ، فاستدار نحوي ،

وفي نفس اللحظة لمست الفرشاة وجهه ، ومرت على جلده بخفة بين فمه وأنفه ، أدهشتني نتيجة ذلك ، فقد اطلق صرخة وحشية عنيفة ، وارتفع ذراعان من أذرعه وقرعاني في ارضية الغرفة . ثم التقطاني . فكرت قائلاً لنفسي :

– الأن سوف يضربني مرة أخرى .

لكن بدلاً من ذلك ، أوقفني على قدمي بلطف ، وقال :

– أيها الصبي ، لا تفعل ذلك مرة أخرى ، لا يجب ان تلمس ما بين فمي وأنفي . انك لو فعلت ذلك ستؤذي سيدك بخطورة . توقف لحظة ثم أضاف قائلاً بسرعة :

– ان لكمة على هذا المكان الضعيف القائم ، قد تقتل سيداً .

تظاهرت بأنني شديد الندم . وواصلت الحك والهرش في ظهره . وسامحني بسرعة على ما سببته له من ألم . ثم التفت أذرعه حولي ولاطفني مرة أخرى . فقلت لنفسي :

– من ذاك الذي يفضل ان يكون محبوساً لدى اخطبوط ؟ ؟

بعد ذلك بحوالي نصف ساعة ، تركني أذهب . فأسرعت الى مأواي ، وكنت متعباً وأردت أن أنام ، لكن قبل ذلك كنت مضطراً أن أسجلَ ملحوظة هامة ، فطوال عدة أسابيع . كنت أدون ملاحظات . عن كل حقيقة صغيرة ، من الممكن أن تكون نافعة لجوليوس . فأنا لا أستطيع الاعتماد على ذاكرتي ، انني مازلتُ لا أعرف كيف أستطيع أن أهرب من المدينة . لكني خططت أن أخذ ملاحظاتي معي . وكنت شديد الحرص على هذه الملاحظات .

لم يكن عندي قلم رصاص ولاورق . لكن واتتني فكرة بارعة ، فقد سمح لي سيدي أن أستعير من مخزنهم بعض الكتب القديمة . هذه الكتب لم تكن تحوي أسراراً . انها مجرد قصص . لكنها كانت بمثابة شيئ يقرأ . وفي هذه الكتب ستجد صفحات فارغة . أما عن الحبر . فقد استخدمت بعض العصير الأسود الذي غالباً ما يخلط بطعام سيدي . كما صنعت قلم حبر . بقطعة سلك من فرشاة الهرش . لم تكن الكتابة سهلة . واستطعت فقط أن أسجل ملاحظات أولية . وقلت لنفسي :

– انها قصيرة . لكنها على الأقل أمنه . فسيدي لن يستطيع المجيء إلى مأواي . لانه لا يقدر على تنفس هوائنا .

ثم مرت عدة أيام . لم اره فيها . فبدأت أقلق . وذهبت مرتين إلى هرمه وسألت زملاءه العبيد . في المرة الأولى لم يعرفوا شيئاً . وفي المرة الثانية . قال واحد منهم :

– انه ليس على ما يرام . وهو الأن في مستشفى العبيد .

وأبلغني أين تكون المستشفى . لقد كانت على مسافة بعيدة من هرمي وكنت مضطراً الى أن أنتظر حتى يذهب سيدي الى عمله في اليوم التالي كانت توجد أسرة بالمستشفى . لكنها لم تكن مريحة . فقد تبرع بها سيد كريم ، من أجل العبيد المرضى ، المتوقع أن تتحسن صحتهم . الميئوس منهم فقط . يذهبون مباشرة الى مكان الموت السعيد . كانت المستشفى بعهدة أحد العبيد . لكن لايوجد طب . وأولئك الذين يذهبون الى هناك يستريحون فقط . فأذا لم يتحسنو

بسرعة فمن الواضح انهم حينئذ ، يكونوا مطلوبين الى الموت السريع . وجدت فريتز على سرير في نهاية غرفة طويلة ، أما العبيد المرضى الأخرون ، فقد كانوا في الطرف المقابل ، لذلك كنا قادرين على أن نتحدث بأمان في أصوات منخفضة ، سألته :

– ماذا حدث لك ؟

– ضربني سيدي بقسوى شديدة ، وقبل أن أستريح ، كلفني بتوصيل رسالة ، فسقطت في الشارع ولم أستطيع أن أنهض فأحضرني بعض العبيد الى هنا .

– وكيف حالك الأن ؟

– انني أحسن .

قال ذلك رغم انه لم يبد في حالة أحسن كثيراً ، ثم أضاف قائلاً :

– غداً سارجع الى سيدي ، وأذا كان قد أخذ عبداً أخر بدلاً مني فمن الممكن أن يختارني سيد أخر ، لكن ذلك غير محتمل ، اذ أن مجموعة جديدة من العبيد الأقوياء ، على وشك الوصولَ . ولن يرغب سيد في عبد ضعيف مثلي .

– حينئذ ستنضم الى العبيد العموميين وقد يكون هذا أفضل بالنسبة لك .

– لا .

قالها وهز رأسه ، مستطرداً :

– العبيد الجدد فقط الذين لا يختارهم أحد الأسياد ، يصبحون

عبيداً عموميين .

– اذن فأين ستذهب ؟

– الى مكان الموت السعيد .

لقد كانت فكرة فظيعة ، فثرت قائلاً :

– انهم لا يقدرون على أن يجعلوك تفعل ذلك !

– لو أنني لم أرغب في أن أفعل ذلك ، سيبدو هذا شيئاً غريباً ونحنُ لا يجب أن نفعل أي شيئ غريب ، لكن الأمر لن يستلزم أن يحدث ذلك ، فالعبد الجدد لم يصلوا بعد ، وسينتظر سيدي الى أن يأتوا ، وفي غضون ذلك سيعيدني ، لكنني يجب أن أرجع بسرعة ، لا يجب أن أبقى هنا .

– لا بد أن نجد طريقاً الى خارج المدينة ، وحينئذ ، من يقع منا في مشكلة خطيرة ، يستطيع أن يهرب .

– لقد فكرت في هذا ، لكنه ليس سهلاً .

– لو استطعنا الوصول الى قاعة المركبات ثلاثية القوائم ، فقد نستطيع أن نسرق واحدةً منها ونكشف كيف تعمل ثم نقودها مبتعدين .

– هذا غير ممكن ياويل ، وتوجد مصاعب عديدة ، لابد أن نجد طريقة أسهل لكننا يجب ألا نتسرع في عملها ، لقد عرفنا أشياء عديدة ، يريد جوليوس أن يعرفها ، ويجب أن يرجع واحد منها إلى الجبال البيضاء ، كنت قلقاً وأنا أفكر بمشكلة فريتز وأنا في طريقي الى المنزل ، ربما يكون سيده قد أخذ بسرعة عبداً أخر ، وربما لا ،

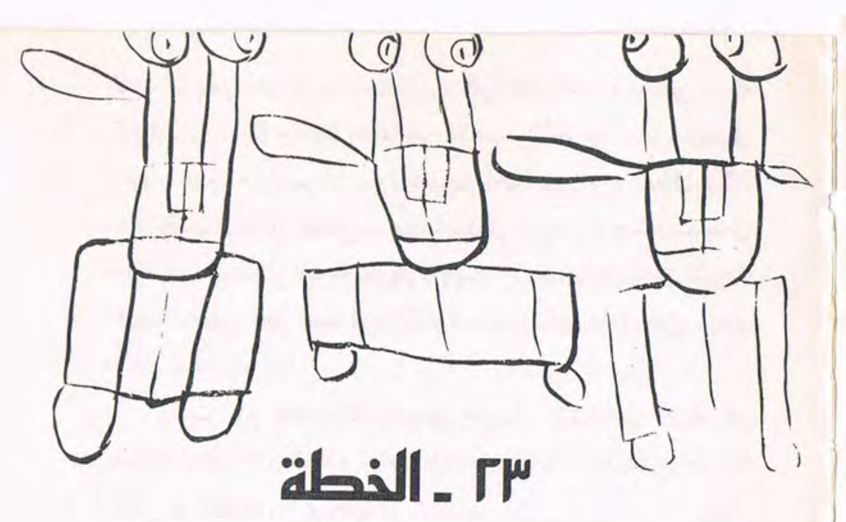
لكنه سيفعل ذلك قريباً ، فقد أصبح فريتز ضعيفاً على العمل .
وتذكرت أنني كنت لا أريد أن يذهب فريتز الى الألعاب . كنت أريد هنري ، وجعلني التذكر أشعر بالخجل ، انه من السهل أن نعمل أصدقاء في الأوقات الطيبة :

عندما تشرق الشمس ، عندما يكون العالم حلواً ، لكن الرجال الذين يتحملون الصعاب ويلتحمون معاً أكثر ، يكونون أشبه بالإخوة أكثر من كثر من كونهم أصدقاء وقد تحملت مخاطر عديدة مع هنري وجومبر ، لكن ذلك مختلف الأن . فقد كنا أحراراً حينئذ . أما فريتز وأنا فقد صرنا عبدين معاً ، وكل منا قد ضُرب وضعف وتمرض .

لم أستطيع أن أنام في هذه الليلة ، كنت قلقاً على فريتز ، انه مضطر الى أن يهرب قبل أن يصبح ذلك متأخراً جداً . لكن كيف ؟!

مرت بذهني كل أنواع الأفكار الحمقاء ، هل أستطيع ، كمثال ، أن أحفر ثقباً في سقف المدينة . ؟ لا . انني لا أستطيع ، لكن بطريقة ما لا بد أن تكون هناك وسيلة .

رأيت فريتز مرة أخرى في اليوم التالي ، وقد أعاده سيده وضربه في الحال ، انه لن يستطيع أن يبقى طويلاً ، وأنا مضطر إلى أن أكتشف طريقة للهرب وبسرعة .



٢٣ ـ الخطة

كان الأسياد قد تعلموا لغاتنا ، في البداية تعجبت : لماذا . ؟ لماذا لا يجعلوننا نتعلم نحن لغتهم ؟ وكانت هناك عدة أسباب محتملة ، لكنني اعتقدت أن السبب الحقيقي هو : انهم أرادوا أن يحتفظوا سر لغتهم ، ولم يرغبوا في أن يفهم أي عبد محادثتهم .

لم يكن الأسياد بحاجة إلى كتب ، كان باستطاعتهم أن يمرروا الأفكار مباشرة من عقل الى عقل ، لذلك فإن تعلم اللغات كان سهلاً تماماً بالنسبة لهم ، وقد حدثني سيدي بالألمانية ، لكنه تحدث إلى عبيد أخرين بلغاتهم الخاصة . كما ان تقاليد عالمنا ، بدت لهم حمقاء ، فلماذ ينقسم أهل جلدتنا ألى أجناس مختلفة ، ويتحدثون لغات مختلفة ؟ في عالم سيدي ، لم يكن هناك إلا جنس واحد ولغة واحدة فقط . ورغم أن تقاليدنا بدت بلهاء ، إلا أن سيدي كان

يريد أن يتعلم عنها المزيد باستمرار ، فقرأ كتبنا القديمة وسألني أسئلة كثيرة . وبطريقة ما كان مختلفاً عن الأسياد الأخرين ، انه مثلهم في إظهار عدم احترامهم لنا ، ولايشبههم أحياناً في إبداء العطف وكان هذا يحدث بشكل خاص ، عندما يكون حزيناً ، وحينئذ يتمدد في حوضه . ويتنفس فقاعة غازية ، ويبدو أن هذه الفقاعات تأثيرات مختلفة . فهي تجعل سيد فريتز أكثر قسوة ، لكنها عادة تجعل سيدي أكثر لطفاً .

وذات يوم عندما كان سيدي حزيناً ، أكتشفت المزيد عن الخطة . لقد أخذت إليه ثلاث فقاعات غازية ، ولاطفني بطريقته الظريفة المعتادة . ثم قال :

– أيها الصبي . انني أسف حقيقة لكونك لن تستطيع أن تعيش طويلاً . أنك صديقي وسوف أفتقدك ، لكن العبيد لا يعمرون طويلاً في هذه المدينة ، فالأوضاع هنا صعبة جداً بالنسبة لكم .

ولم يكن ذلك جديداً الآن ، فقد قاله من قبل ، كما انه نادم دائماً من أجل نفسه وليس من أجلي ، كنت مضطراً أن أتظاهر بأني لا أفهم وأن أبدو سعيداً وغير خائف ، لكن هذه المرة كانت مختلفة ، فهو ليس نادماً فقط لأن العبيد لابد أن يموتوا ، فقد كانت لديه شكوك حول هذا العرف ، وسألني مرة أخرى عن حياتي في بلدي ، فأخبرته بالقصة التي ذكرتها له من قبل (وربما أكون قد أخطأت في بعض التفاصيل ، لكن لم يبد عليه أنه لاحظ شيئاً) وأخبرته عن تقاليدنا في احتفالات عيد الميلاد)الكريسماس) :

الهدايا ، الطعام ، والطقوس في الكنيسة . وبالطبع كانت هذه حقيقة ولابد أن صوتي يوضح ذلك . والتفكير في هذا الطعام ، جعل فمي يمتلئ باللعاب ، قال السيد :

– مع انني لا أستطيع أن أشاركك مسراتك ، لكن من الواضح أنك استمتعت بحياتك في بلدك ، ولو لم تفز في الألعاب ، لكنت ما تزال تستمتع بتلك الحياة ، ألم تفكر في هذا أبداً ، أيها الصبي ؟

– لكن الفوز في الألعاب ، أتاح لي أن أجيء إلى مدينتكم ، أتاح لي أن أكون معك ياسيدي وأن أقوم بخدمتك .

كان صامتاً ، وتوقف الغاز الأحمر الداكن عن التصاعد من الفقاعة الغازية فنهضت وأحضرت له واحدة أخرى ، فقبلها بدون نفاس ، ووضعها في مكانها على وجهه ثم ضغط عليها ، وبينما تتصاعد منها سحابة من الغاز الطازج ، قال لي :

– وهكذا يموت عدد من مواطنيك هنا كل عام ، انه لشيء محزن أيها الصبي ، وقريباً سيحدث شيء ما أكثر مدعاة للحزن ، وعندما أفكر في الخطة ، أشعر فعلا بالاعياء ، لكن الخطة لا بد أن تستمر ، فالمستقبل ثابت ولا يمكن أن يتغير .

توقف عن الكلام ، فبقيت صامتاً ، وبعد فترة بدأ يتحدث مرة اخرى ، وتكلم عن الخطة قائلا :

– هناك اختلافات بين عالمنا وعالمكم ، والان سأشرح لك بعضها ، أيها الصبي ، فعالمنا اكبر ولذلك يكون وزن الاشياء عليه اكبر كثيرا ، وهو ايضا احر وارطب من عالمكم ، وهذه الاختلافات

ليست مهمة جدا ، فبعد اننا تجعل هذه المدينة تبدو اثقل ، لكننا
نستيطع ان نعيش بدونها ، وبعض اجزاء عالمكم احر من المانيا ،
ان لنا مدينتين اخريين ، من اماكن حارة بقدر كاف بالنسبة لنا .
وهناك اختلاف واحد يزعجنا بالفعل وهو اننا لانستطيع ان نتنفس
هواءكم ، انه يسممنا بالضبط كما يسممكم هواؤنا ، لذلك لا
نستطيع ان نمشي خارج مدينتنا بدون قناع ، ولا يكفي قناع
الرأس ، فنحتاج الى قناع اخضر كبير ، يغطي الجسم بالكامل ،
ولابد ان يكون اخضر ، لكي يحمى جلدنا من الشمس ن ، لذلك قلما
نخرج من مركبتنا ثلاثية القوائم ، وهنا في الشمال لا نفعل ذلك على
الاطلاق ؛ بعد ذلك جعله التفكير يشعر بالبرد ، فصب على
جسمه ماء ساخنا ، ثم قال : سيتغيركل هذا ، وقد بلغ الى مواطننا
استيلاؤنا على عالمكم ، لقد ارسلنا اليهم بعضا من هوائكم
ومياهكم ، ثم ارسلوا رسالة يقولون فيها من الممكن أن يتغير هواء
الارض لكي يستطيع الاسياد ان يتنفسوه بامان . ولن تحتاجو الى
المزيد من المدن الخاصة لانكم ستقدرون على الحياة في اي مكان.

– هل هذا سيستغرق وقتا طويلا ؟

– نعم ، وقت طويل ، لكنهم بدأوا يعلمون منذ عدة سنوات ، لقد
صنعوا محركات عظيمة ، ستوضع من الف مكان مختلف من
الارض ، وسوف تغيركل الهواء ببطء ، انه سيصبح كثيفا واخضر
اللون مثل هواء هذه المدينة ، ولن يشرق ضوء الشمس بنفس
البريق من خلال الهواء الاخضر ، وسوف يموت كل شيء يعيش

لان في عالمكم ازهاركم واشجاركم حيواناتكم وطيوركم والناس
فبعد عشر سنوات ، سيكون الهواء امنا بقدر يكفى لتنفس الاسياد .
وفي ذلك الوقت سيموت كل مواطنيك .

وطبقا لهذه الخطة ، فانهم قد استولوا على عالمنا وتوجوا مواطنينا
لكن هذا لايكفيهم ، لقد خططوا لابادتنا بالكامل . قلت له :

– أن كانت هذه رغبة الأسياد ، فلا بد أنها ستكون جيدة .

– انك لم تفهم أيها الصبي ، ان بعضنا منا يصيبهم الحزن ، عندما
نفكر في هذه الخطة ، اننا لانرغب في تدميركل الحياة في عالمكم ،
ان التفكير في هذا يؤرقنا بشدة .

أدهشني ذلك ، كنت أتصور أن كل الأسياد لهم نفس الأفكار
فهل يرغب بعضهم حقاً في أن ينقذ مواطنينا ؟ ثم واصل سيدي
قائلاً :

– يرغب بعضنا في أن ينقذ نماذج من حياتكم القديمة ، فنحن لن
نحتاج مدنناً ، ونستطيع أن ندع بشراً وحيوانات ونباتات لكي
تعيش فيها ، وسوف نرتدي أقنعة ونزورهم ، ولن يكون البشر أمواتاً
مثل الفتيات في هرم الجمال ، انهم سيبقون أحياء ، ألا يعتبر هذا
شيئاً جيداً ، أيها الصبي ؟

لقد كرهته ، كرهتهم جميعاً ، لكني ابتسمت وقلت :

– نعم ياسيدي .

– يقول بعض الأسياد ، ان جهودنا ستضيع ، لكنهم مخطئون ،
فجنسنا يحب الجمال ، وإذا غزونا عالماً ، لا بد أن ننقذ جماله .

أكانت هذه هي فكرته عن الجمال ؟ مكان يضم قلة من البشر والحيوانات تحفظ كأمثلة للحياة القديمة ؟ ساد الصمت ، بينما كل منا يفكر في خواطر مختلفة ، وبالتدريج ملأ عقلي سؤال كبير ، كان سؤالاً خطيراً ، لكنني كنت مضطراً أن أسأله ، فقلت : «متى يا سيدي»

تحرك ذراع كعلامة على أنه لا يفهمني ، فكررت سؤالي :

– متى . . ستبدأ الخطة ياسيدي ؟

لم يرد في الحال ، فهل أثار سؤالي شكوكاً في عقله ؟ انني أستطيع أحياناً أن أقرأ أفكاره الا أن الكثير منها يخفى عليّ غالباً ، وكانت أفكاره الأن مختفية عني ، لكنه في النهاية قال :

– سفينة الفضاء العظيمة في طريقها لجلب المكائن التي نحتاجها ، وخلال أربع سنوات ستكون هنا .

أربع سنوات قصيرة ، قبل أن تسمم محركاتهم هواءنا ، ان جوليوس لم يخطط لمهاجمة الأسياد بسرعة هكذا . ان خططه تحتاج الى المزيد من الوقت أكثر من ذلك . فجأة أصبح الوقت عدواً ، وبقدر خطورة الأسياد أنفسهم ، قال سيدي :

– انه شيء رائع ، عندما تنطلق سفينتنا العظيمة ، كنجمة في الليل ، أتمنى أن تراها ، أيها الصبي .

انه تمنى أنني سأعيش لمدة أربع سنوات ، وهذه تعتبر حياة طويلة بالنسبة لعبد في المدينه .

قلت له :

أتمنى ذلك ياسيدي ، وسوف تكون لحظة سعيدة بالنسبة لي .

– نعم ، أيها الصبي .

– هل ، أحضر لك فقاعة غازية أخرى ، ياسيدي ؟

– لا ، أيها الصبي ، أظن أنني سوف أكل ، يمكنك أن تجهز مائدتي .



٢٤ ـ سيدي يكتشف سري

في اليوم التالي أبلغت فريتز بالخطة . فقال : لابد [illegible] واحد منا حالاً .

أومأت برأس مؤكداً كلامه ، كنا في المأوي العام أسفل هرم فريتز ، ومعنا ستة عبيد آخرين ، اثنان كانا يلعبان الكوتشينة ، والبقية كانوا راقدين ، فلم يكن هناك أي حديث بينهم ، أما نحن فقد جلسنا في ركن وتحدثنا في همس ، قلت لفريتز :

– أخمن أنك لم تجد أية وسيلة ؟

– لقد تأكدت من أننا لانستطيع دخول قاعة المركبات الثلاثية القوائم ، انها محروسة بعناية ، ولن نستطيع ان نهرب بالقوة ياويل ، لابد ان نهرب بالقوة ياويل ، لابد أن تفعل ذلك في سرية ، لكي لايفتقدنا أحد وينتبه .

– ماذا تقصد ؟

– انهم يعرفون أن صبية غير متوجين قد دمروا مركبة ثلاثية القوائم وسيدك أخبرك بذلك ، ولهذا يبدو أن الصبية غير المتوجين هم خطرهم الوحيد) فإذا هربنا علانية ، سيقولون : «هؤلاء صبية متوجون ، ولابد أن تيجانهم زائفة » وسوف يعرفون سرنا الأكبر .

– وكذلك اذا هرب واحد منا ، فسيعرفون هذا السر ، لأن العبد المتوج بالفعل لايرغب في مغادرة المدينة .

ابتسم فريتز وقال :

– الا من خلال مكان الموت السعيد ، لابد أنهم سيظنون أننا ذهبنا الى هناك ، وبذلك يبقى هروبنا سراً :

– أي نوع من الهروب أفضل من لاشئ ، فجوليوس يحتاج الى تقريرنا على الفور .

أومأ فريتز برأسه ، ولاحظت مرة أخرى جسمه الضعيف النحيل ، فقلت لنفسي :

– لو هرب واحد منا فقط ، فلابد أن يكون فريتز ، فأنا أستطيع أن أستمر وقتاً أطول مع ذلك السيد الطيب ، وهو يريد أن يريني عودة سفينتهم الفضائية العظيمة ، لكن فريتز سيموت قريباً جداً ان لم يهرب ، حينئذ قال فريتز :

– لقد فكرت في شئ واحد .

– ماهو .؟

– انها مجرد فكرة ، وقد لاتكون ممكنة ، لكننا ربما نستطيع

استخدام النهر .
– النهر .؟ انني لاأتخيله تماماً .
– انه يمر داخل المدينة ، وتنظف المكائن ماءه للأسياد ، لكنه يظل متدفقاً الى خارج المدينة أيضاً ، لقد رأيناه من المركبة الثلاثية القوائم ، الاتتذكر ؟
انه كان يتدفق من تحت الجدار ولو عثرنا على ذلك المكان ..
– نعم بالطبع ، اننا نعرف من أين يخرج ولابد أنه يسري مبتعداً في الجانب المقابل من المدينة .
– أتوقع ذلك ، لكن الأسياد الذين يعيشون في هذا الجانب لايملكون عبيداً ، ولذلك لانستطيع أن نصل الى هناك بسهولة ومن المحتمل ان يلاحظونا .
– انه يستحق العناء ، وبمجرد أن نجد مخرجاً ، لابد أن يهرب واحد منا ،

لم أرغب في البقاء بالمدينة وحدي بدون صديق، لكن لم يكن في عقلي شك بأن فريتز يجب أن يذهب اولاً . وقلت لنفسي :
– خارج المدينة خريف ، وسوف يسقط الجليد المبكر تواً ويتراكم على الجبال البيضاء ، وبسرعة سوف يسد الطريق الى سردابنا ولن يصبح الطريق واضحاً مرة أخرى حتى الربيع .
بعد ذلك بأربعة أيام حدث شيئ ما ، فقد أرسلني سيدي للحصول على بعض الزيت ، كان يجب ان يدلك جسمه بزيوت مختلفة ، كنت ذاهباً الى دكان خاص، انني أطلق عليه دكانا ، لكن

لم يكن هناك أحد يتعهده او يشرف عليه ، ولم تكن هناك اية نقود تدفع .
وكان هذا الدكان أكثر بعداً عن الأماكن المألوفة ، واستغرقت الرحلة اليه عبر المدينة أكثر من ساعة ، وكنت متعباً جداً عندما رجعت ، فأردت أن أستريح ، لكنني كنت مظطراً أن أرى سيدي أولاً وأعطيه زيته، لم يكن في حوضه ، وكان جالساً في ركن الغرفة، فذهبت إليه وأديت إشارة الاحترام، ثم قلت :
– هل تريد الزيت الأن ، ياسيدي .؟ أم أضعه في الدولاب .؟
لم يجب ، فانتظرت لحظة أو اثنتين ، ثم هممت بالمسير ، انه أحيانا عندما يفكر بعمق ، لا يحب أن يشوش عليه أحد ، وبينما كنت أستدير أمسكني ورفعني ، قلت لنفسي : «لابد أنه سيلاطفني.»
لكن الأمر لم يكن هكذا ، فقد كانت عيونه الثلاثة تفحصني باهتمام وفي صمت. وأخيراً قال :
–كنت أعرف أنك عجيب ، لكني لم أكن أعرف كيف يكون العجيب .؟؟
لم أكن مرتاحاً لذلك، فلم أجب ، لكنه قد ابدى هذه الملاحظات من قبل ، ولذلك لم أكن خائفاً، واستمر يقول :
– رغبت في أن أساعدك ، أيها الصبي ، لأنك صديقي ، أردت أن أجعل مأواك مريحاً أكثر ، أردت ان أمنحك مفاجئة سارة ، لذلك أرسلتك بعيداً، ولبست قناعاً ، ثم دخلت الى ماواك ، وهناك

اكتشفت شيئاً غريباً .
وكان قد أمسك شيئا خلف ظهره ، أخرجه الأن وأظهره لي ، انه الكتاب الذي يحتوي على ملاحظاتي ، كنت قلقاً بالفعل ، كيف أستطيع أن أفسر نفسي الأن .؟

وانني حاولت بمشقة أن أفكر ، لكن فكرة واحدة لم تسعفني ، فكرر قائلاً :

– أيها الصبي العجيب ، انت تسمع وتدون أشياء في كتاب ، فلأي سبب ؟

ان البشر المتوجين لايتصرفون هكذا ، ويعرفون ان تقاليد الأسياد بمثابة أسرار غامضة ، ولاينبغي أن يعرف الانسان أسرارنا ، لكنني تحدثت عن هذه الأسرار وأنت استمعت اليها .

نظر اليّ بتركيز وقال :

– كنت صديقي ، ولابد انك كنت خائفاً عندما أخبرتك بالأسرار ، لكنك لم تظهر خوفك وكان هذا غريباً ، وبعد ذلك دونت هذه الأسرار في مأواك .

وكذلك هذا كان غريباً ، كان يجب أن يمنعه التتويج ، دعني أفحص تتويجك أيها الصبي .

كانت هذه أكثر لحظات الخوف ، التي مررت بها منذ وصلت ، رفعني ذراع في الهواء ، وتحسيس ذراع آخر تتويجي من خلال الجزء الناعم في قناعي ، قلت لنفسي :

– لو كسر القناع سأموت ، فهواء الأسياد سوف يسممني .

لكنه لم يكسر القناع ، انه فقط تحسس حول رأس بلطف ، ثم قال :

– غريب حقاً ، التاج مثبت في رأسك بقوة ، شيءٌ ما خطأ هنا ، خطأ جداً انك لابد أن تذهب الى أسياد التتويج ، فانهم سيفحصونك بطريقة صائبة .

امتلأ عقلي بمخاوف رهيبة ، انهم سيكتشفون كل اسرارنا ، ولابد أنهم سيفحصون زملائي العبيد ، حينئذ سيقبض على فريتز أيضاً .

ماذا أستطيع أن أفعل .؟ انني لاأستطيع أن أقاوم سيدي ، انه قوى جداً كان الذراع يمسكني من خصري ، لذلك كان ذراعاي متحررين ، لكن مافائدة ذلك .؟ حينئذ جاءتني فكرة بشكل مفاجئ ، كانت عينه الوسطي فوق أنفه وفمه ، تحدق فيّ بتركيز ، لقد عرف أن شيئاً ماكان خطأ ، لكنه لم يستطع أن يرى خطراً مباشراً . وكان قد نسى واحداً من الأسرار التي اخبرني بها . فقلت له :

– سيدي ، انني أستطيع أن أريك الخطأ في تتويجي ، من فضلك قربني منك أكثر .

حركني الذراع ناحيته ، كانت قدماي فقط بعيدتين عن وجهه ، أشرت له بيدي اليسرى نحو جزء من تاجي ، فجذب ذلك عيونه عن يدي اليمنى ، حينئذ ضربته بكل قوتي في نقطة ضعفه ، أطلق صرخة رهيبة واحدة ، وبي الوقت نفسه رماني بعنف بعيداً عنه ،

فارتطمت بشدة في الارضية ، بجانب حوضه بعدة ياردات، نهضت بصعوبة ، وكنت على وشك أن أسقط في الماء ، لكن سيدي لم ينهض ، وكان قد وقع على وجهه ، عندما رماني ، وهو الأن مازال متمدداً هناك على وجهه وفي صمت .



٢٥ ـ فريتز وانا ندبر حادثة

وقفت بجانب الحوض لحظة . ماذا يجب أن أفعل الأن ؟ انني لن أستطيع كذلك أن أفكر بطريقة صائبة ، فقد ضُربت رأسي في الأرضية بشدة ، عندما رمى بي على طول ذراعه ، وقد هزتني الضربة ، لكن ضربتي اوقعت سيدي ، وكنت أرتجف من الألم والدهشة ، فهل أوقعته فعلاً .؟

لاأستطيع أن أصدق ، لكنها الحقيقة ، كنت فخوراً بنفسي ، لكن فخري كان ممزوجاً بالخوف ، فالسيد كان كبيراً وقوياً إلى درجة ..

كيف تجرأت على أن أضربه ؟ وكبرت مخاوفي أكثر وأنا أفكر :

– لقد أثبت الأن أنني غير متوج على الاطلاق ، وفي لحظة سيفيق

وينهض . لابد أن أفعل شيئاً بسرعة . لكن أين أستطيع أن أختبئ .؟ اذا هربت سيتعقبوني . ولن يساعدني العبيد الأخرون .

تأملت في الغرفة . لم يكن سيدي يتحرك . تذكرت كلماته مرة أخرى :

- «ضربه على نقطة الضعف هذه قد تقتل سيداً كذلك .»

أهذا شئ أكيد .؟ ليس يقيناً .؟ لكنه لم يتحرك . وكانت أذرعه ممدوة بارتخاء على الأرضية . كنت مضطراً أن أعرف الحقيقة . لذلك اضطرت أن أفحصه . ومثل الرجال . فإن الأسياد لهم قلوب تضخ دماءهم . كنت احيانا أحس بالدم يجري تحت جلده الخشن وكان لابد أن أختبر ذلك . وفي البداية كنت خائفاً أن أقترب منه أردت أن أهرب حين أستطيع . كانت رجلاي ترتعشان . لكنهما حملتاني أخيراً للأمام حتى وصلت الى جسمه . رفعت نهاية ذراع . كان مرتخياً وبلا حياة .

ضغطت على الجلد حيث يتصل الذراع بالجسد . وهناك كنت أشعر عادة بجريان الدم . أما الأن فلا أشعر بشئ .

وقفت وتحركت مبتعداً عنه . ان ذلك لم يبد ممكناً . لكنه حدث . لقد قتلت واحداً من الأسياد .؟

خرجت مسرعاً الى هرم فريتز . لم يكن هناك أحد في مأواه العام .

فهل ذهب مع سيده الى مكان ما .؟ أم أنه في منزلها بالاعلى .؟

لم أستطع أن أنتظر . كنت مضطراً أن أجده بسرعة . ولم أجرأ

على الصعود الى منزلها من قبل . لكن توجهت اليه الأن .

ولحسن الحظ . كان باب غرفة معيشتها مفتوحاً وشاهدني فريتز . فأشرت إليه . وبعد لحظات قليلة . لحق بي في المأوى العام.

وعندما أخبرته بقصتي . سألني :

- هل انت متأكد تماماً .؟

فأومأت برأسي مردداً :

- متأكد تماماً .

انهم يبدون أمواتاً عندما ينامون .

- أعرف . لكنك حينئذ تستطيع أن ترى الدم وهو يُضخ في موضع او اثنين من الجسم . وقد لاحظت ذلك . عندما كان نائماً في حوضه . لكن لاشئ يُضخ الأن . انه مات ولايوجد أي شك في ذلك .

مرت لحظة . وهو مدهوش جداً . ولايستطيع أن يفكر بتركيز . ثم وقف وهو يتأملن . حينئذ قلت له :

- سأضطر أن أهرب حالا . وسأحاول أن أتسلل الى قاعة المركبات ثلاثية القوائم . لكن فكرت في أنه من الافضل أن أخبرك اولاً .

-نعم .

قالها وهز رأسه . ثم استطرد :

- قاعة المركبات لن تساعدك . النهر هو أحسن فرصة لك .

فاعترضت قائلاً :

- اننا لانعرف الى أين يتدفق .

– نستطيع أن نفتش عنه ، لكننا نحتاج وقتاً ، فمتى يكون من المحتمل اكتشافهم لافتقاد سيدك .؟

– ليس قبل أن يحين موعد واجبه المقبل .

– ومتى سيكون ذلك .؟

– غداً ، في النصف الثاني من الصباح .

– انه وقت متأخر من بعد الظهر ، وهذا يعطينا فترة الليل ، انه أفضل وقت للتفتيش ، فالعبيد لايزورون هذا الجزء من المدينة أبداً ، لذلك لاتستطيع أن نذهب في ضوء النهار ، لكن قبل ذلك ، هناك شيء آخر لابد أن نقوم به .

– شيء آخر ؟ ماهذا .؟

– انهم لايجب أن يكتشفوا أن عبداً متوجاً قتل سيداً .

– كيف نستطيع أن نمنعهم .؟ لن نستطيع أن نتخلص من الجسم ، كما انهم سيفتقدونه .

– نستطيع أن نجعلهم يظنون أنه مات في حادثة

– هل نستطيع .؟ انها فكرة جيدة ، لكن هل هي ممكنة .؟

– يجب أن نحاول ، انهم يعرفون أن ضربة على الوجه من الممكن أن تقتلهم ، وقد أخبرك سيدك بهذا ، ولذلك لابد أن يكون هذا حدث من قبل ، دعنا نذهب الى مكانك حالاً وندبر شيئاً ، لكن ليس من الأفضل أن نذهب معاً ، لو انك ذهبت اولاً ، فسوف اتبعك في بضع دقائق ، ويمكنني أن أجد عذراً بسهولة .

– احضر حالاً بقدر استطاعتك .

قلتها وأسرعت راجعاً عبر المدينة ، لكن خطواتي ازدادت بطئاً عندما وصلت الى هرمي ، وقفت في الممر لحظة وتسمعت ، هل كنت مخطئاً .؟ هل انه استيقظ .؟ أم أن زائراً وجده .؟ ان كلا منهم يعيش بمفرده ، لكنهم أحياناً يتزاورون ، أردت أن أهرب مرة أخرى ، لكني أعرف أن فريتز قادم ، وقد شجعني ذلك ، ففتحت الباب .

لم يكن اي شيء قد تغير ، فهو راقد هناك ، ساكن ، ميت ، نظرت اليه وتعجبت ، حينئذ سمعت خطوات فريتز في الممر .

هو أيضاً وقف ونظر في صمت ، ثم قال :

– أعتقد أن لديّ خطة ، ان سيدك يستخدم فقاعات غازية ، أليس كذلك ؟

– نعم .

– عندما يتناول سيدي عدداً منها ، لايكون ذهنه صافياً ، فتهتز أرجله ولايستطيع السيطرة على أذرعه ، وفي الحال ينزلق ويسقط في الحوض ، فلو أن سيدك انزلق ..

وهنا قاطعته قائلاً :

– لكنه على مسافة طويلة من الحوض .

– لابد أن نجره اليه .

– هل نستطيع .؟ انه ثقيل بدرجة فظيعة .

– يمكننا ان نحاول .

سحلناه بواسطة أذرعه ، كنت أكره أن ألمسه ، لكن فريتزكان

يحاول بجدية ، لدرجة انه أشعرني بالخجل .

في البداية ، لم يتحرك الجسم الضخم ، وببطء سحبناه عبر الغرفة بوصة بوصة وحينئذ رفعناه على الحوض المنخفض وتوازن للحظة على قمة الحائط ، ثم تدحرج في الماء .

كنت متعباً جداً عن أن افكر ، لكن فريتز قال : الفقاعات الغازية .

فتحنا نصف دستة منها ، كنا نضغطها حتى يخرج منها الغاز ، ثم بعثرنا الفقاعات الغازية حول حافة الحوض ، وكذلك تسلق فريتز الحائط ، ونزل في الماء ، فثبت فقاعة في وجه سيدي . ثم ذهبنا الى مأواي وجففنا أنفسنا ، وأردت أن يستريح فريتز معي هناك ، لكنه قال بأنه يجب أن يرجع .

فقد تأخر ولابد أن سيده سيكون غاضباً . وقال أيضاً :

- انها على وشك أن تظلم ، وقد أضيئت اللمبات الخضراء في الشوارع ، استرح الآن ، وعندما تكون جاهزاً ، تعال الى هرمي وانتظرني في مأوانا العام ، وعندما يذهب سيدي الى سريره ، سانزل اليك وسنفتش معاً عن النهر .



٢٦ - تفتيش في الظلام

عندما ذهب فريتز ، تمددت ، لكني كنت خائفاً من أن أروح في النوم فنهضت بعد راحة قصيرة ، وبدأت أهيئ نفسي . انتزعت ملاحظاتي من الكتاب وأخفيتها داخل قناعي ، ثم أخذت قنينتين صغيرتين ، وغادرت مأواى ، فملأت احداهما بماء من الحوض ، وجعلت الأخرى تمتلئ بهواء الأسياد ، وأغلقت كل منهما بإحكام ، ثم رجعت الى مأواي وخبأتهما أيضاً في داخل قناعي ، لابد أن جوليوس وأصدقاءه سوف يفرحون بأن يتمكنوا من فحصها ، لكن علينا بالطبع أن نخرج من المدينة أولاً .

انتظرت وقتاً طويلاً في مأواى فريتز العام ، وأخيراً جاء ، وكانت على ظهره علامات حمراء ، تبين أنه ضرب تواً . كما بدا

عليه اعياء شديد . أردته أن يستريح خلال التفتيش عن النهر ،
لكنه لم يوافق وقال :
– لن تجد طريقك أبداً ، وسوف تتجول فقط في حلقة واحدة .
وكانت هذه حقيقة ، فأنا لاأستطيع أبداً أن أعرف طريقي في
أماكن غير مألوفة من المدينة ، لكن فريتز يفعل ذلك بسهولة .
سألني فريتز :
– هل أكلت شيئاً منذ الإفطار .؟
فهززت رأسي قائلاً :
– لست جائعاً .
– لكنك يجب أن تأكل ، قد أحضرت لك بعض الطعام ، واشرب
قدر استطاعتك فقد لاتتاح لنا فرصة أخرى ، قبل وقت طويل .
وبالطبع كان محقاً في ذلك ، لكني لم افكر في هذا ، أكلت
الطعام الذي أعطاه لي ثم شربت حتى امتلأت الماء ، وثبت قناعي
مرة أخرى ، وقلت :
– يجب الانضيع وقتاً .
– لا .
قال فريتز وهو يرتدي قناعه بسرعة ، واستطرد :
– من الأفضل أن نبدأ فوراً .
كانت مظلمة بالخارج ، وليس الاضوء أخضر ضعيف ، يضيء
حول لمبات الشارع فقط ، لكن الهواء كان ساخناً ، ففي المدينة
لاتصبح باردة في الليل أبداً . وكان الطريق طويل الى الجانب الآخر

من المدينة ، فهل ستحملنا أرجلنا الثقيلة الى هناك .؟ انها مظطرة ،
لم يكن العبيد يتنقلون في مركبات مالم يكن اسيادهم معهم ، قال
فريتز :
– من الافضل ان لانمشي معاً ، سأمشي في المقدمة ، ولاتتبعني عن
قرب تماماً ، لكن حافظ على أن أكون على مرأى منك ، فعادة
لايكون العبيد في الخارج ليلاً ، ويستطيع العبد أن يفسر ذلك بأنه
يحمل رسالة الى سيده ، أما أن يمشي عبدان معاً ، فسيبدو ذلك
غريباً .
وافقته ، لكني كنت أكره أن أمشي وحدي ، وخفت أن افقده
في الظلام كان باستطاعتي أن اراه تحت كل لمبة ، لكن ليس في
الفراغات بينها .
ولعدة مرات ، كانت عيناي المجهدتان على وشك أن تفتقداه
تماماً . ثم سمعت سيداً يقترب ، فأرجله الثلاثة المستديرة ، أحدثت
ضوضاء ، ميزتها بسهولة ، كانت الضوضاء خلفي ، وتزايد صوتها
علواً بسرعة .
ان الأسياد يتحركون أسرع مما نفعل ، لذلك لم أكن مندهشاً ،
وأردت أن أختبئ ، لكن لم تسنح لي فرصة ، واذا اختبأت سافقد
فريتز .
لم ألتفت ، فلم تكن هناك حاجة ، انني أعرف ماذا كان خلفي ،
ثم فكرت قائلاً لنفسي :
– انني في جزء غريب من المدينة ، لكنني لن أجد عذراً ، إذا سألني

أحد الأسياد .

أصبح وقع الخطوات أقرب ، وفي كل لحظة كنت أتوقع أن أسمع صوتاً وربما يمسكني ذراع ويجعلني أتدلى بعيداً عن الأرض ، كنت أستطيع أن أرى فريتز على البعد تحت لمبة ، أردت أن اجري اليه ، أصبحت الخطوات الآن بجانبي في الشارع ، ومر شكل قائم للسيد مستعجل ، كنت في أمان ، لكن هل كان فريتز في أمان أيضاً .؟ هل يمر به هو الأخر .؟ التفت في ركن ، وكانا هناك ، فريتز والسيد معاً ، تحت لمبة ، وسمعتهما يتحادثان ، أردت أن أتوقف وأتراجع في الظلال ، لكن السيد قد يلاحظني ، كنت مظطراً أن أستمر ، فلا أستطيع أن أترك فريتز ، فإذا كان في مأزق ، لابد أشاركه ، لكن هل باستطاعتي أن أقتل هذا السيد مثلما قتلت سيدي .؟ ان ذلك غير محتمل ، وارتجفت من الخوف .

حينئذ رأيت السيد يمضي ، وأيضاً فريتز استمر في سيره ببطء أكثر ، وانتظرني في الظلال التالية ، فسألته عما أراد منه السيد .

فهز فريتز رأسه قائلاً :

– لاشيء ، كان يظن أنه يعرفني ، فهمّ بإعطائي رسالة ، لكنه اكتشف غلطته ، ولذلك تركني وذهب .

أخذت نفساً عميقاً من خلال قناعي ، وقلت :

– ظننت أننا وقعنا في مأزق .

– وأنا كذلك .

لم أكن أستطيع أن أرى وجه فريتز في الظلام ، لكن صوته كان

مرتعشاً ، فقلت له :

– الاتريد أن تستريح .

– لا ، سنمضي .

واسترحنا بعد ذلك بساعة ، كان هناك مكان مفتوح ، مليئ بالاشجار بجانب حوض حديقة ، فتمددنا تحت الأشجار الكثيفة ، وقلت :

– هل جئت في هذا الجزء من المدينة قبل ذلك يافريتز .؟

– مرة واحدة فقط ، لم نكن بعيدين عن هذا الطرف .

– فهل نحن باتجاه المكان الذي يأتي منه النهر .؟

– تقريباً ، وعندما نصل الى الجدار ، نستطيع أن نبدأ تفتيشنا عن النهر ، لكننا يجب أن نكون أكثر حذراً الأن ، فقد توغلنا كثيراً ووصلنا الى المكان الذي لايملك فيه الأسياد عبيداً .

– يبدو أن الأسياد هنا لايخرجون ليلاً .

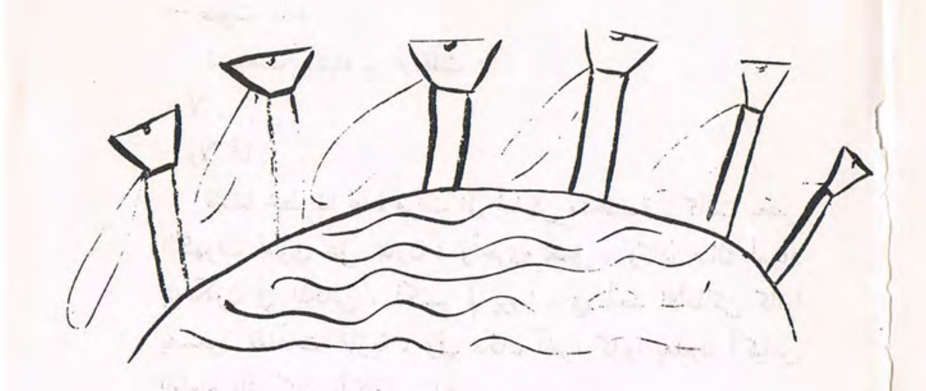
– لا ، هذا من حسن الحظ ، لكننا لانستطيع أن نكون متأكدين .

قال ذلك . ورفع قدمه قائلاً :

– الأفضل أن نمضي الأن ياويل .

وأثناء تفتيشنا ، رأينا أشياء عجيبة ، مثل فقاعات تنمو وتنتفخ في حوض به زيت أخضر كثيف يغلي بعنف ، أضواء تومض من مكائن غامضة ، وفي لحظة التفت فريتز الى ركن واشار لي ، فأسرعت الى جانبه ونظرت .

كان هناك سيدان في حوض حديقة صغيرة ، ويبدو أنهما يتعاركان ، فكلاهما قد لف أذرعه حول الآخر وكانا يتدحرجان في الماء ، راقبناهما لحظة واستغربنا ثم مشينا في صمت ، وأخيراً وصلنا الى الجدار .



٢٧ ـ النهر المخفي

في ضوء أخضر لإحدى اللمبات ، كانت واجهة الجدار تلمع ببريق الذهب ، وكانت قمته بعيدة فوق رأسينا ، ومن كل طرف كان يلتوي مبتعداً في الظلام .

قال فريتز :

– لابد أننا على مقربة من النهر، لكنه يتدفق خلال ممر تحت الأرض ، لذلك فنحن مضطران أن نجد طريقاً ينزل اليه .

نظرت الى الجدار الممتد بلا نهاية وقلت :

– أي طريق سنسلك .؟

– هيا نمشي نحو اليسار ، ألا تسمع شيئاً .؟

– ماذا .؟

– ان الشوارع ستمتلئ بهم بسرعة ، فالأحسن أن نرجع الى مأوى عام ، اذ أننا بحاجة الى هواء نقي وطعام وشراب .

– انهم خلال ساعات قليلة سيعثرون على سيدك .

– أعرف ، لكن ماذا نستطيع أن نفعل غير ذلك .؟

فهز رأسه قائلاً :

– يجب أن أستريح ، دعنا نتمدد هنا .

تمدد كل منا بجانب الأخر ، كنت أشعر أنني مجهد بشكل فظيع ، وأردت أن أنام ، لكننا لانستطيع أن نبقى هناك ، أبلغت فريتز أننا ينبغي أن ننهض ، فلم يجب ، جذبت ذراعه ، حينئذ قال بانفعال :

– استمع ياويل .؟

تصنت ولم أسمع شيئاً ، وأخبرته بذلك ، فقال :

– ارقد وضع اذنك في مواجهة الأرض ، فالاصوات تنتقل بشكل أفضل هكذا . استمع .؟

تسمعت وبعد لحظة سمعته : صوت رقيق كخرير ماء بعيد .

ضغطت أذني أقرب الى الأرض ، نعم ، انه موجود ، لقد وجدنا النهر ، لكن هل باستطاعتنا أن نصل اليه .؟

خطونا عدة خطوات ، قادتنا الى أسفل ، وأدت بنا الى كهوف ساكنة ، كان الوقت يمر ، وأقبل الصبح . حينئذ وبشكل مفاجئ تماماً ، وصلنا الى النهر . اخرجنا ممر ضيق من مؤخرة كهف ، وكانت هناك أضوية خضراء معلقة بطول جدار الممر ، وفي الطرف البعيد ؛

– صوت الماء .

تسمعت بانتباه ، ثم قلت :

– لا .

– ولا أنا .

قادتنا خطواتنا عدة مرات الى أماكن منخفضة ، كانت بعض الكهوف تحتوي على مخازن ، وأخرى تعمل ، وكان هناك أسياد يتحكمون في المكائن ، لكنهم لم يرونا ، في أحد الأماكن كانوا يصنعون فقاعات غازية ، وفي مكان آخر ، كانوا يعدون أكياس الطعام التي كان يأكلها سيدي .

سيدي . كنت قد نسيته تقريباً ، هل عثروا على جثته الآن .؟ وهل يبحثون عن عبده في الحال .؟

قال فريتز :

– ربما لم يكن من الأفضل أن نتجه نحو اليسار ، دعنا نرجع ونسلك الطريق الآخر .

– يجب أن نستريح اولاً .

– لبضع دقائق فقط ، فليس امامنا وقت كثير .

رجعنا ، وكنا طول الوقت نتسمع صوت الماء البعيد ، لكننا سمعنا فقط ضوضاء المكائن ، أصبحت المدينة مضيئة أكثر الأن ، فقد اقترب الليل من نهايته ، وبسرعة أطفئت اللمبات ، شاهدنا سيداً على البعد ، ثم اثنين آخرين ، لذلك كنا مظطرين أن نختبئ في الحديقة ، قلت :

كان الماء يتدفق خارجاً من فتحة ، كانت على شكل حوض كبير ، باتساع حوالي خمسين قدماً . قال فريتز :

هل ترى .؟ انه الجدار .

كان ذلك حقيقياً ، فخلف الحوض ، ارتفعت من الماء الواجهة الذهبية الملساء للجدار ، وكان الماء أتياً من المدينة ، كان دافئاً ، ويأتي من مئات الحدائق ومن آلاف البيوت الهرمية ، لكن الحوض لم يكن عميقاً جداً ، لذلك كان الماء ظاهراً طول الوقت . قلت :

– لابد أنه يذهب تحت الجدار ، فليس هناك طريق آخر .

ذهبنا الى حافة الحوض ونظرنا في الماء الى اسفل ، فقال فريتز :

– لابد أن تغطس في الماء ياويل ، وتدع التيار يأخذك ، وسوف أسد فتحات الهواء في قناعك ، يمكنك أن تتنفس الهواء الذي بداخله لمدة خمس دقائق ، لقد جربت ذلك .

– سأغلق فتحات هواء قناعك أولاً .

– لكني لن أجيء معك .؟

نظرت اليه بدهشة ، وقلت :

– لاتكن غبياً ، لابد أن تأتي .

– لا ، اننا لايجب أن نزرع أية شكوك في عقولهم ، لو ذهبت أنت فلن تكون هناك مشكلة ، فسيدك مات في حادثة . وحينئذ ماذا على العبد أن يفعل .؟ لابد أن يذهب الى مكان الموت السعيد ، فهو لن يستطيع أن يعيش بدون سيده .

– قد تكون محقاً في أنهم سيفكرون هكذا ، لكننا لسنا متأكدين .

– يمكنني أن أساعدهم على أن يفكروا هكذا ، فانا أعرف بعض العبيد في هرمك وسوف أبلغ واحداً منهم أنني شاهدتك تذهب الى مكان الموت السعيد .

كان فريتز قد خطط كل هذا بعناية فائقة ، فاعترضت قائلاً :

– لكني لاأستطيع أن أتركك هنا ، انني لاأحب ذلك وسوف يخجلني أن أرجع بدونك .

– خجلك ليس مهماً ياويل ، المهم شيءٌ واحد فقط ، تقريرنا يجب أن يصل الى جوليوس بسرعة .

قال ذلك وأمسك يدي ، فضغط عليها بشدة ، واستطرد :

– لن تفقدني ، لكنني لو ذهبت معك ، فقد يفتش الأسياد خارج المدينة .

– ومتى تستطيع أن تهرب .؟

– سأنفذه بسرعة ، وهو شيء سهل ، حيث أننا وجدنا النهر ، خلال ثلاثة أيام ، سأتظاهر بأنني مريض جداً لدرجة أنني لا أستطيع مواصلة العمل ، وسأبلغ زملائي العبيد أنني ذاهب الى مكان الموت السعيد وأختبئ الى أن يحل الظلام ، ثم أجيء الى هنا .

– سأنتظرك خارج المدينة .

– انتظر ثلاثة أيام ، ليس أكثر ، فلابد أن ترجع الى الجبال البيضاء قبل أن يسد الشتاء الطريق ، والآن يجب أن تسرع .

ثم علت شفتيه ابتسامة ضعيفة وقال :

– هيا أغطس ، فأنا جائع وأريد أن أرجع الى البيت لتناول بعض

الطعام .

اخذت نفساً عميقاً ، وقام هو بسد فتحات الهواء في قناعي ثم أمسك يدي مرة أخرى وقال :

– مع السلامة ياويل .

استدرت وغطست تحت في عمق الحوض .



٢٨ ـ الهروب

سحبني التيار أسفل وأسفل في الظلام وسحبت معه ، أرتطم كتفي بشيءٍ ما صلب ، كان هو الجدار ، لكن لم تكن هناك فتحة ، وظل التيار يجرني الى أسفل .

ملأت عقلي كل أنواع المخاوف ، فقد لا يمر عبر فتحة كبيرة ، وقد يمر من خلال مائة ثقب صغير ، جداً بالنسبة لي ، زفرت وأخذت نفساً جديداً ، قال فريتز : خمس دقائق ، فكم مضى عليّ وأنا تحت الماء .؟ عشر ثوان .؟ دقيقة واحدة .؟ دقيقتان .؟

ان لم أستطع أن أخرج بسرعة ، فسوف أغرق ، سبحت ونزلت ، مازال جسمي يحتك بالجدار ، ثم ظهرت حافة بشكل مفاجيء ، انها فتحة ، نفق ، جرني التيار اليه .

كان يندفع بسرعة اكبر عبر الفراغ الضيق ، كنت آخذ أنفاساً قليلة عندما أضطر لذلك ، كنت أتنفس زفيري الأن ، وليس هواء نقياً ، أوجعتني رأسي ، كان الدم ينبعث فيها بضراوة .

كنت أحياناً المس أرضاً خشنة تحتي، وأحياناً ألمس فوقي سطحاً معدنياً ناعماً . فكرت قائلاً مع نفسي :

– هذه النهاية ، لن أخرج حياً ، سأموت تحت، هنا ، وقريباً سيموت كل البشر في العالم ، فسوف تأتي سفينة الفضاء ولن أستطيع أن احذرهم، ليس هناك من أمل .

لكن الأمل جاء بشكل مفاجيء، كان هناك ضوء أمامي ، ضوء ضعيف يزداد قوة ببطء ، ضوء أبيض وليس أخضر ، لابد انه نهاية النفق . كان الألم في صدري فظيعاً ، لكني سبحت بكل قوتي .

أخيراً ، أصبح الضوء فوقي الآن ، فشققت طريقي صاعداً نحوه ، وبعد لحظة ارتميت خارج النفق في ضوء الشمس٣، وكان باستطاعتي أن احس بالهواء الطازج على جسدي ، لكن لاأستطيع أن أتنفسه ، فقد كانت فتحات الهواء في قناعي لاتزال مسدودة ، وكان فريتز قد سدها لي لأنني لاأطولها . ولم يكن فريتز معي الأن ، لذلك اضطررت أن أخلع القناع بالكامل . حاولت أن أفك الأربطة ، لكن أصابعي كانت ضعيفة جداً ، عندما كنت في النهر ، ساعدني القناع على ان أطفو ، وفي نفس الوقت فانه سيقتلني، حاولت ثانية وفشلت مرة أخرى ، ولم أكن أستطيع أن

أتنفس أكثر من ذلك . وازداد فكري تشاؤماً .

تنبهت على صوت اسمي ، كان يبدو بعيداً جداً : ويل .؟ ان في هذا الأمر شيئاً غريباً ، انه اسمي، لكنه كان ملفوظاً بالطريقة الانجليزية ، اي بحرف الواو وكنت معتاداً على الطريقة الالمانية بحرف الفاء ، ترى هل أكون قدمت .؟ وربما أكون في السماء الأن .؟

– هل أنت بخير ياويل .؟

هل يتحدثون الانجليزية في السماء .؟كان الصوت يبدو قلقاً ، وتعرفت عليه لكنه لم يكن صوتا انجليزيا ، جومبر ، هل كان جومبر في السماء أيضاً .؟

فتحت عينيّ، كنت راقداً على ضفة النهر وكان جومبر راكعاً على ركبتيه بجانبي، وقال الأن بقلق أقل :

– انك بخير .

– نعم ، لكن ، اين أنا .؟

تلفت حولي ، كان صباحاً خريفياً مشرقاً ، وأزعجت الشمس عينيّ ، اللتين لم تعتاد عليها بعد . وكان النهر يتدفق بجانبنا ، وماهذا الذي وراء النهر .؟ جدار عظيم من الذهب ، بسقف يشبه فقاعة خضراء كبيرة ، المدينة .. وقد هربت منها ، نظرت الى جومبر وسألته :

–كيف وصلت الى هنا .؟

– «ساخبرك ، لكنها قصة طويلة ، فعندما أُخذت أنت وفريتز بواسطة المركبات الثلاثية القوائم ، كان يجب أن أرجع الى الجبال

البيضا ، فقد كنت مضطراً أن أقدم تقريراً الى جوليوس ، لكني لم أكن راغباً في الذهاب ، فبقيت في بلدة الألعاب عدة أيام ، وحاولت أن أجد بعض المعلومات عن المدينة ، ولم يبد أن أحداً يعرف عنها الكثير، وسمعت أنها تقع عرض هذا النهر ، لذلك أخذت زورق هانز وجرفت قادماً الى هنا ، وأردت أن أشاهد المدينة من كل جانب ، لم أجرؤ على الاقتراب منها خلال النهار ، لكنني فحصتها عن قرب في ضوء القمر ، والنتيجة لم تشجعني ، فلا يوجد أي باب أو شباك في الجدار ، ولايستطيع أحد أن يتسلقه .

ذات ليلة ، حفرت لمسافة عدة أقدام ، لكن الجدار كان بعيد العمق ، لذلك لم أستطع أن أنفذ من تحته ، وتعجبت : كيف يمكنكما أن تهربا .؟

حينئذ فكرت في النهر ، إذ يبدو أنه طريقكما الأكثر احتمالاً ، وبكل وضوح وجدت أن مياهه تستخدم في المدينة ، اذ عثرت على أشياء غريبة تطفو فيه .»

وأظهر لي جومبر بعض الأشياء ، كانت تشتمل على عدة فقاعات غازية فارغة ، وهذه يبيدها العبيد عادة ، لكن اذا سقطت واحدة من سيد في حوضه فقد تجد طريقها الى النهر بدلاً من ذلك .

وبعد ظهر أحد الأيام ، رأى شيئاً واسعاً يطفو في النهر ، انه علبة معدنية بطول ستة أقدام وعرض قدم واحد تقريباً . فقال جومبر :

– واذا كان هذا الشيء يستطيع أن يخرج من المدينة ، فانكما تستطيعان أن تفعلا ذلك أيضاً ، لذلك قررت أن أبقى هنا وأراقب النهر .

وظل يراقب وينتظر ومرت عليه أيام وأسابيع ، كان من الممكن أن نكون قدمتنا أنا وفريتز وأخذت أماله تضعف ببطء . قال عن ذلك :

– جاء الخريف وكنت مضطراً أن أرجع الى الجبال قبل أن يسد الجليد الكثيف طريقي ، وقررت أن أنتظر اسبوعاً واحداً اضافياً . وفي صباح اليوم الخامس ، رأيت شيئاً يطفو فجدفت اليه متجهاً اليه ووجدتك ، ثم قطعت فتحة قناعك بسكين ، لكي أجعلك تتنفس .

كنت ممتنا لذلك ، فقد أنقذ حياتي ، لكنه سألني الأن :

– ماذا حدث لفريتز .؟

فأخبرته ، وسكت لحظة ، ثم قال :

– هل لديه فرصة حقيقية للهرب .؟

– بإمكانه أن يجد طريق عودته الى النهر ، لكنه أضعف مني كثيراً ، انه سيحاول أن يأتي خلال ثلاثة أيام ، ولابد أن نراقب النهر باهتمام سوياً ، فعيناك تريان أفضل من عينيّ .

انتظرنا لمدة ثلاثةأيام ، ثم ثلاثة أيام أخرى ، وواصلنا الانتظار .

في اليوم الثاني عشر ، هبت عاصفة ثلجية ، وفي صباح اليوم

التالي ، جدفنا مبتعدين بدون مناقشة ، أمسك جومبر المجدافين ، وكنت لاأزال ضعيفاً على أن أساعده كثيراً ، التفت ورائي ولوحت مودعاً فريتز ، كنت سعيداً بأنني حر ، لكن التفكير في فريتز جعلني حزيناً وغاضباً، وكرهت الأسياد .

رجعنا أنا وجومبر الى الجبال البيضاء ، وكنا نحمل أسرار المدينة الى جوليوس والآخرين ، فكان لابد أولاً ان نساعد في وضع خطة الحرب ضد الأسياد ، ثم نرجع وندمرهم مع مدينتهم .